رحلة الأرشيدوق الألماني لودفيغ سلفاتور

إلى مصر وبلاد الشام

عام ١٨٧٨م

ترجمة وتقديم وتعليق

أحمد إبراهيم الصيفي

٢٠٢٠م

الطبعة الأولى 1

1440 هـ / 2019 م

اسم الكتاب : رحلة اللأرشيدوق الألمانى لودفيغ سلفاتور الى مصروبلاد الشام

اسم المؤلف :

اسم المترجم : أحمد إبراهيم الصيفى

موضوع الكتاب : تاريخ

عدد الصفحات : 128 صفحة

مقاس الكتاب : 17 x 24 سم

الترقيم الدولي :

تصميم الغلاف : أحمد الخولي

الإخراج الفني : صفحات لخدمات دور النشر

Arab History Publishing

التوزيع والنشر

6/11 شارع وحيد أفندي - حي توفيق بيك - كوجوك
جكمجة - اسطنبول - تركيا - ت: 00905454886870
هاتف: 00201555566139 - 00201027013326
E-mail: info@arabhistorypublishing.com
Websit: www.arabhistorypublishing.com

إهداء

إلى من قيل لهم ...

" لا تكثر من التفكير والبحث حتى لا تضل"
فعصى، وقد عرف جيدًا أن خير حمد الله على
نعمة العقل هو استخدامه.

هذه الترجمة العربية للنسخة الإنجليزية

Caravan Route Between Egypt and Syria

مقدمة

أصابت الرحلة عقول الرحالة قبل قلوبهم؛ فدونها يظل الانسان عاجزًا عن اكتشاف عالمه المحيط. وقد لاقت الرحلة هوى في قلوب الرحالة؛ وذلك لأن حب الحركة والانتقال كان من بين الأشياء التي فطر الانسان عليها. ولم تكن الرحلة يومًا مقتصرة على فئة دون غيرها أو جنس دون آخر بل شملت الجميع عربًا كانوا أو أجانب . من ذلك كان الرحالة الألماني لودفيغ سلفاتور الذي وضع الرحلة التي نحن بصددها .

وكما نعلم أن من أراد السيطرة على العالم ؛ لابد وأن يبدأ أولًا بالسيطرة على مصر ، ولهذا كان غرض لودفيغ سلفاتور أن يساعد في ذلك . فقد كانت رحلته محاولة لمعاينة الطريق البري بين مصر وبلاد الشام لأهداف تجارية استعمارية . ولم يتأتى لأي رحالة المضي في رحلته إلا إذا ما توفرت فيه مقوماتها كالمحصلة الثقافية والعلمية ، إضافة لعينه الفاحصة التي هي كما آلة التصوير .

وتتجلى أهمية الرحلة في كون مؤلفها سليل لإحدى الأسر النبيلة فلودفيغ سلفاتور كان ابنًا للدوق ليوبولد الثاني، وأمه هى ماري أنطوانيت، وبالتالي هى فرصة للتعرف على ملامح تلك المنطقة بعيون غربية ملكية . كذلك تتجلى الأهمية في كونها توضح إحدى المشاريع الاستعمارية التي دبرت للمنطقة ، وكذلك تصور الموقف الاستعماري لمؤلف الرحلة والذي بدت وجهته في بداية الرحلة حينما أشاد بالمسيو ديليسبس .

وتتجلى الأهمية بالرحلة أيضًا في سردها لملامح الطريق البري بين مصر وبلاد الشام في القرن التاسع عشر وكذلك ذكره لمحطاتٍ غير موجودةٍ في القواميس الجغرافية الأخرى ، وكذلك وصفة للأهمية الاقتصادية للطريق في وقت كان معظمه واقع تحت سيادة الباب العالي .

وتتألف تلك الرحلة من مقدمة و عشرة أقسام ؛ الأول : القنطرة . الثاني : بئر النص وقطيا . الثالث : من قطيا إلى بئر العبد . الرابع : بئر العبد إلى بئر المغارة .

الخامس : بئر المغارة إلى العريش . السادس : العريش . السابع : من العريش للشيخ زويد . الثامن : من الشيخ زويد إلى خان يونس . التاسع : خان يونس . العاشر : من خان يونس إلى غزة .

وقد دونت الرحلة في بداية الأمر باللغة الألمانية ، وصدرت لأول مرة عام ١٨٧٩م بعنوان " Die Karawanen strasse Von Agypten NachSyrien " وفي عام ١٨٨١م صدرت الترجمة الأولى للرحلة باللغة الانجليزية والتى قام بها HesseWartegg وترجمها عن الأصل الألماني . وجاءت تحت عنوان : " Caravan Route Between Egypt and Syria " ثم في عام ١٨٨٥م صدرت الترجمة التشيكية بعنوان " Karavanska C esta Z Egyptu do Syrie " .

وما نحن بصددها الآن الترجمة العربية الأولى ، والتي قمت بنقلها عن الترجمة الانجليزية السابقة ، وقد أوردتها تحت عنوان " رحلة الأرشيدوق الألماني لودفيغ سلفاتور إلى مصر وبلاد الشام عام ١٨٧٨م." وبخصوص تلك الترجمة فقد قسمتها لأربعة أقسام . القسم الأول : أعددت به دراسة مفصلة عن مؤلفها لودفيغ سلفاتور . وفي القسم الثاني : قمت بعمل دراسة نقدية مفصلة عن الرحلة من أسباب القيام بها ، والصعوبات التي اعترتها ، ومنهج سلفاتور في الكتابة ومصادر معلوماته. وكذلك الرحلة وخط سيرها ومراحل إعدادها وأهم شخصياتها وأبرز الإشارات الاقتصادية . وكذلك أبرز المغالطات التي أوردها مؤلف الرحلة .

وفي الجزء الثالث أوردت النص المترجم ، وبه حاولت تقديم نصًا ملائمًا للقارئ العادي بلغة متوازنة بعيدة عن التكلف وعن الدنو ، ولكن في بعض العبارات أوردتها كما هي كما لو قلنا حرفيًا مثل الصور البلاغية حتى يتجلى معناها الحقيقي . وبهوامش النص المترجم قمت بعمل توثيق للأماكن الموجودة في الرحلة، وحاولت تحديد أماكنها في الوقت الحالي . وحاولت توضيح بعض عبارات التجني التي أبداها المؤلف على الشعوب الشرقية وكذلك بعض مغالطاته .

وفي الجزء الرابع أوردت ملاحق خاصة بالرسالة وهي الرسوم التصويرية التي رسمها لودفيغ سلفاتور بنفسه .

وفيما بعد أعتقد أن نشر ذلك العمل سوف يضيف للمكتبة العربية وللقارئ العربي؛ وونه وصفًا لمصر وبلاد الشام بعيون غربية . وأخيرًا أتمنى أن ينال هذا العمل إعجابكم.

أحمد إبراهيم الصيفي

-التحقيق-

(١)

ولد لودفيغ سلفاتور في الرابع من أغسطس عام ١٨٤٧م ، في منطقة بلازو بيتي ، هو الابن الرابع من خمسة أبناء للدوق الكبير " ليوبولد الثاني " ، وزوجته التي تنحدر من نسل نابليون " ماري انطوانيت " ابنة الملك " فرانز الأول " ملك سيسلي . وربما كان هذا يعني للوهلة الأولى أنه نشأ نشأة الشاب النبيل في تلك الفترة. وكان من قام بتعميده عند مولده المعمد الدومينيكاني " رينير فرديناد " ، و " كارل زينوبيوس أنطويوس " .

وقد اتسمت الأوضاع السياسية التي أحاطت " بلودفيغ سلفاتور " بالاضطراب ، وهذا بدوره أَثَّر على نمط حياته ، وجعله وأسرته في ارتحال دائم ؛ ونتيجة للتمرد الذي ساد حصن " جسيتا " في الناحية الشمالية الغربية من " نابولي " عام ١٨٤٩م فر ليوبولد الثاني وأسرته بعيدًا ، ولكنه لم يلبث أن عاد مرة أخرى إلى " فلورنسا " بعد حوالي عام واحد .

قضى سلفاتور فترة من الوقت في " ميونخ " بألمانيا ولاسيما بداية من عام ١٨٥٥م . واستهل عام ١٨٥٧م بانتقاله إلى سويسرا حيث أقام هناك . تلك الإقامة التي أتاحت له زيارة ومعرفة العديد من المدن هناك . وغير معروف إذا كان هذا الانتقال بدافع سياسي من عدمه ، فلم يمض طويلًا حتى أطلت الظروف السياسية برأسها مرة أخرى عام ١٨٥٩م حينما قامت حرب التحرير الإيطالية بين النمسا وسردينيا وفرنسا ، وعلى إثر ذلك انتقل ليوبولد هو وأسرته من فلورنسا صوب المقاطعات البوهيمية بالتشيك ، وفي العام التالي حصل منها على " براندیس " ؛ وهي مقاطعة تقع إلى الشرق من مدينة " براغ " ، وهي نفسها المقاطعة التي ملكها لودفيغ سلفاتور فيما بعد .

كانت كافة الظروف التي مر بها لودفيغ سلفاتور وعائلته جعلت الرحلة والانتقال شئ أساسي ، وربما هي من حببت إلى نفسه الارتحال إلى كثير من الأماكن ولهذا نراه في عام ١٨٦١م يقوم بأُولى رحلاته الرسمية إلى " البندقية " والتي استمرت ثلاث سنوات عاد منها صوب " براغ " ؛ ليكمل دراسته هناك ، فقد درس

على يد أساتذة القانون والفلسفة بقسم الإمبراطورية الملكية بجامعة كارل فرديناند ، وكذلك بجامعة " فاين " للآداب في براغ .

ووفقًا للتقاليد الحربية آنذاك مُنح لودفيغ سلفاتور مرتبة كولونيل عام ١٨٦٥م ، وفي ذلك العام أيضًا قام بزيارة البحر الشمالي لجزيرة " هيل جولاند " . علاوة على ذلك أصبح عضوًا في الجمعية النباتية الحيوانية في " البندقية " . وفي العام التالي أصبح قائدًا للنظام العسكري الإمبراطوري الملكي رقم ٥٨ . ورغم تلك المناصب التي قد تحمل له قدرًا من الزهو والبهجة ، إلا أنه في ذلك العام تلقى ضربات موجعة تمثلت في وفاة اثنين من أقرب وأحب الأشخاص إلى قلبه : الأولى : هي " الأرشيدوق ماتيلدا " ابنة الأرشيدوق مارشال البرخت ، والتي يقال إنها كانت خطيبته حيث لاقت حتفها متأثرة بجروحها في " قلعة هيتزنتوف " بالقرب من " فيينا " في السادس من يونيه من العام ذاته . والثاني : هو " الأرشيدوق ماكسيليمان " إمبراطور المكسيك ، وهو ابن عم لودفيغ حيث تم إعدامه في ذلك العام .

وربما نتيجة للذكريات السيئة التي لحقت بلودفيغ سلفاتور في ذلك العام ؛ أن سافر في صحبة حاجب الملك ومعلمه " إيوجينو بارون سفورزي " في دراسة علمية لأول مرة إلى جزر " البليار " . كذلك فقد حصل في الخامس من نوفمبر من نفس العام على وسام الشرف النمساوي من الصوف الذهبي .

لم يكن لودفيغ سلفاتور يرتحل فقط لمجرد الرحلة أو الزيارة أو حتى الدراسة ، ولكنه لم يترك صغيرة وكبيرة في رحلاته إلا سجلها ودونها ، ولهذا نراه في عام ١٨٦٨م يصدر أول كتابين له : أحدهما بالفرنسية وهو خاص برحلته " للبندقية والساحل البندقي " ، والآخر عبارة عن مقارنة بين مشاهداته لكل من " فالنسيا " بأسبانيا و" هيل جولاند " . وقد تبع ذلك في العام التالي بزيارة الجزر الليبرية والتي كانت من أكثر الأمور أهمية في أدب سلفاتور خصوصًا بعد مؤلفه الضخم المسمى بجزر البليار .

ولم يمض زمن طويل على " لودفيغ سلفاتور " حتى تجددت أحزانه مرة أخرى عام ١٨٧٠م حيث توفي والده ليوبولد الثاني أثناء إقامته في روما . وطبقًا لنظام الحكم فإن لودفيغ سلفاتور أصبح وريثًا لمقاطعة " برانديس " ؛ ونتيجة لذلك

التطور انتقل سلفاتور إلى بوهيميا في " براغ " ؛ ليتعلم الإدارة والحكم السياسي لأرض هذه المملكة وتاجها الضخم .

كانت بعض رحلات لودفيغ سلفاتور مقترنة بالدراسة العلمية ، ففي عام ١٨٧١م أصدر أوامره بإنشاء السفينة " نايكس ١ " ، وسافر إلى " مايوركا وجزيرة أسبانيا " للدراسة . وفي العام التالي استولى على " ميرامار " وحينها قرر جعل مايوركا سكنه الأساسي ثم سافر إلى قبرص للدراسة . وفي ذلك العام نفسه أصبح لودفيغ سلفاتور عضوًا في " جمعية فلورنسا للحشرات " .

كان للشرق نصيب من رحلات وزيارات سلفاتور فبعد أن أنهى رحلته العلمية في قبرص عام ١٨٧٣م ؛ توجه إلى زيارة " بيت المقدس " حيث زار القدس ، والناصرة ، وبيت لحم ، والبحر الميت ثم توجه إلى " مصر " فوصف الأهرامات ، ومنها انتقل صوب " فيينا " لحضور المؤتمر العالمي ، ثم ارتحل إلى مايوركا على متن باخرته " نايكس١" . وفي العام التالي قام برحلاته على طول الساحل الشمالي الأفريقي .

بدأ لودفيغ سلفاتور بعد ذلك التوسع في أملاكه في مايوركا ؛ وذلك عن طريق الحصول على ممتلكات ومقاطعات " سون جالران " ، و " كاناماتجني " ، و" كنكلو " . وفي عام ١٨٧٥م أصبح عضوًا في " الجمعية الجغرافية الملكية الأمبراطورية بفيينا " . كذلك شارك في المؤتمر الجغرافي العالمي في باريس ، واستلم خطابات التميز . كما حصل على ميدالية ذهبية عن مؤلفه جزر البليار في عام ١٨٧٨م من المعرض العالمي بباريس . كذلك حصل على دبلومة شرفية من الطبقة الأولى عن كتابه السابق في العام ١٨٨١م وذلك في المؤتمر الجغرافي بفيينا . وفي العام نفسه أصبح عضوًا شرفيًا " بالجمعية الجغرافية الملكية بلندن " ، وفي " متز " بشمال شرق فرنسا .

بداية من عام ١٨٩٣م بدأ الأرشيدوق لودفيغ سلفاتور يتلقى المزيد من الضربات والأحزان ، كانت أولها في ذلك العام حيث تحطمت سفينة نايكس١ قبيل الساحل الجزائري المتوسط . وفي العام التالي تلقى الضربة الثانية حيث توفي معلمه " ايجينو سفورزي " ؛ ذلك المعلم الذي قدم إلى سلفاتور خدمات جليلة لمدة أربعون

عامًا . وفي جزءٍ من الشعور بالسعادة وإضفاء البهجة عليه لما أصابه من ضربات ؛ استطاع في عام ١٨٩٥ أن يحصل على باخرة تدعى " هيرتا " من الأمير " جوزيف أوف ليختنشتاين " وقام بتسميتها " نايكس٢ " .

لم يدم ذلك الفرح وتلك السعادة طويلًا ؛ فما هي إلا أعوام ثلاثة تقريبًا حتى تلقى ضربات موجعة جدًا ففي سبتمبر عام ١٨٩٨م توفت الملكة إليزابيث في جنيف ، وكذلك توفت والدته ؛ " ماري انطوانيت " في نوفمبر من العام ذاته . وربما قد يكون حصوله على ميدالية هاور من الجمعية الجغرافية الملكية بفيينا ما هدأ من روعه قليلًا بعد تلك الصدمات .

وفي العام ١٨٩٩م واصل لودفيغ سلفاتور رحلاته ولاسيما على متن سفينته نايكس٢ فانطلق في رحلة صوب الأرض المقدسة ، وهي رحلة صاحبه فيها " ايستاكا مديد " ، و " كتالينا هومر " ، وخلال تلك الرحلة حصل على بعض الممتلكات والقصور في مدينة " الرملة " ، وكذلك في منطقة " سان استيفانو " بالقرب من الأسكندرية . وبعد تلك الرحلة ولاسيما في عام ١٩٠٠م أحس لودفيغ سلفاتور بدنو أجله ولهذا نراه في ذلك العام يضع وصيته ، وفيها ذكر ورثته وهم أطفاله ، وسكرتيره وصديقه " أنطونيو فيفز " .

بالاضافة لما سبق قام لودفيغ عام ١٩٠٣م بالمشاركة في المؤتمر الفيلولوجي في أثينا . كما أصبح عضوًا دائمًا في " المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي " بنيويورك بداية من عام ١٩٠٩م ، وكذلك أصبح رئيسًا شرفيًا للمؤتمر الجغرافي العالمي الخامس في روما بداية من عام ١٩١٠م .

وما أن جاء عام ١٩١٣م حتى بدأ لودفيغ سلفاتور يعاني من داء الفيل وهو تضخم فظيع في طبقات الجلد ، ولهذا كان يعاني من ورم في أذرعته وقدمه . وفي الثاني عشر من أكتوبر من عام ١٩١٥م فقد لودفيغ سلفاتور وعيه في ساعات الصباح ، ثم غاب عن الوعي ، وتوفى في الساعة الثانية والنصف ظهرًا نتيجة تسمم في الدم نتيجة لعملية جراحية في ساقه . وفي الثامن من أكتوبر تم دفنه . ولكن في الحادي والعشرين من مارس لعام ١٩١٨م تم نقل رفاته إلى فيينا وتم دفنها في القبو الملكي الأمبراطوري هناك .

وأخيرًا ترك الأرشيدوق لودفيغ سلفاتور من بعده مكتبة تاريخية ، جغرافية ، نباتية ، وحيوانية ..إلخ . وهذه قائمة بالكتب والرحلات التي استطعنا أن نحصرها له

(عام ١٨٦٨م)

1. Excursions Artistiques dans la Vénétie et le Littoral .
رحلة إلى البندقية والساحل البندقي .
2. Süden und Norden .
الشمال والجنوب (عبارة عن مقارنة بين فالنسيا وهيل جولاند) .

(عام ١٨٦٩ م)

3. Beitrag zur Kenntnis der Coleopteren-Fauna der Balearen .
يتعلق بعالم الحيوانات المجنحة في جزر البليار .
4. Tabulae Ludovicinae .
كتاب عن عالم الخنافس في جزر البليار .

(عام ١٨٧٠ م)

5. DIE BALEAREN. In Wort and Bild geschildert. Grosse Ausgabe in 7 Bänden and 9 Büchern .
كتاب يتعلق بوصف جزر البليار .
6. Tunis - ein Bild aus dem nordafrikanischen Leben .
تونس ـ صورة من حياة الشمال الأفريقي .

(عام ١٨٧١م)

7. Der Golf von Buccari - Porto Re .
وصف خليج بوساري .

(عام ١٨٧٣م)

8. Levkosia, Hauptstadt von Cypern .

ليفوسكا عاصمة قبرص .

9. Der Djebel Esdoum - Das Salzgebirge von Sodoma .

جبل إيسدوم ، وجبال الملح .

(عام ١٨٧٤م)

10. Yacht-Reise in den Syrten .

رحلة وصفية إلى سيرتن ..

(عام ١٨٧٥م)

11. Einige Worte über die Kaymenen .

بعض العبارات عن جزر كاميني .

(عام ١٨٧٦م)

12. Eine Spazierfahrt im Golfe von Korinth .

الرحلة السعيدة في خليج كورنثه .

(عام ١٨٧٨م)

13. Eine Blume aus dem Goldenen Land oder Los Angeles .

زهرة من الأرض الذهبية أو لوس أنجلوس .

(عام ١٨٧٩م)

14. Die Karawanenstrasse von Ägypten nach Syrien .

طريق القافلة بين مصر وبلاد الشام .

(عام ١٨٨١ م)

15. Um die Welt ohne zu wollen .

حول العالم دون الرغبة فيه .

16. Die Stadt Palma .

مدينة بالمه .

17. Bizerta and its Future .

بنزرت ومستقبلها .

(عام ١٨٨٦م)

18. Hobarttown oder Sommerfrische in den Antipoden .

هوبارتون في الأجزاء المقابلة للأرض .

19. Lose Blätter aus Abbazia .

الصحائف الفضفاضة من أبيازا .

(عام ١٨٨٩م)

20. Paxos and Antipaxos im Jonischen Meer .

(عام ١٨٩٠م)

21. Helgoland - eine Reiseskizze .

هيل جولاند ـ قصة مسافر .

22. Eine Yachtreise an den Küsten von Tripolitanien and Tunesien .

رحلة وصفية إلى الساحل الطرابلسي والتونسي .

(عام ١٨٩٣م)

23. Die Liparischen Inseln .

الجزر الليبرية (يتعلق بوصف منطقة شمال سيسلي) .

(عام ١٨٩٤م)

24. Schiffbruch oder Ein Sommernachtstraum .

غرق السفينة وأحلام الليالي الصيفية .

25. Spanien in Wort und Bild .

أسبانيا في العبارات والصور.

(عام ١٨٩٥م)

26. Columbretes .

كولمبريتا (يتعلق بوصف جزر كولمبريتا وشاطئ ساحل فالنسيا) .

(عام ١٨٩٦م)

27. Märchen aus Mallorca .

حكايات مايوركا الخرافية .

(عام ١٨٩٧م)

28. Benzert .

بنزرت .

29. Die Balearen in Wort und Bild .

جزر البليار في العبارات والصور (نسخة مختصرة) .

30. Cannosa .

كانوسا .

(عام ١٨٩٨م)

31. Alboran .

البورين (عبارة عن وصف جزيرة صخرية عند مضيق جبل طارق) .

32. Ustica .

أوستيكا (وصف لجزيرة أوستيكا في شمال غرب سيسلي) .

(١٨٩٩م)

33. Bougie, die Perle Nord-Afrikas .

بوجي ـ لؤلؤة شمال أفريقيا .

(١٩٠٠م)

34. Ramleh als Winteraufenthalt .

الرملة منتجع شتوي .

35. Die Insel Giglio .

جزيرة جيليو (عبارة عن وصف لجزيرة أوف ليفورنو في البحر التيرانـي) .

36. Bizerte en son passe, son present et son avenir .

(١٩٠١م)

37. Panorama von Alexandrette .

بانوراما الاسكندرونة .

(١٩٠٣م)

38. Sommertage auf Ithaka .

أيام الصيف في إيثاكا .

(عام ١٩٠٤م)

39. Zante .

زانيتي .

40. Das, was verschwindet - Trachten aus den Bergen und Inseln der Adria .

الأشياء إلى اختفت ـ الملابس من جبال وجزر الارادياتيك .

(عام ١٩٠٥م)

41. Wintertage auf Ithaka .

أيام الشتاء في إيثاكا .

42. Catalina Homar .

(عام ١٩٠٦م)

43. Über den Durchstich der Landenge von Stagno .

عن برزخ ستانجو .

(عام ١٩٠٧م)

44. Parga .

براغ .

(عام ١٩٠٨م)

45. Versuch einer Geschichte von Parga .

محاولات في تاريخ براغ .

46. Anmerkungen über Levkas .

ملاحظات عن ليفكادا .

(عام ١٩٠٩م)

47. Was mancher wissen möchte - Lo que alguno quisiera saber .

بعض ما تود أن تعرفه (كتاب عن المناخ في مايوركا) .

48. Winke für den Besucher von Miramar - Indicaciones a los que visitan Miramar .

طرق الزوار إلى ميرامار .

(عام ١٩١٠م)

49. Die Felsenfesten Mallorcas Geschichte und Sage .

الحصون الحجرية في مايوركا التاريخ والأسطورة .

50. Der Kanal von Calamotta .

قنال كلاموتا .

51. Ithaka .

إيثاكا (هذا الكتاب ملخص لكتابيه لأيام الصيف والشتاء في إيثاكا) .

(عام ١٩١١م)

52. Einiges über Weltausstellungen .

شئ عن المعرض العالمي .

53. Lo que se de Miramar .

دليل مقاطعة ميرامار .

(عام ١٩١٢م)

54. Somnis d'estiu ran de mar .

مراقبة الساحل المايوركي .

55. Sommerträumereien am Meeresufer .

أحلام الصيف على شاطئ البحر .

(عام ١٩١٤ م)

56. Porto Pi - In der Bucht von Palma de Mallorca .

في خليج بالمه مايوركا .

57. Lieder der Bäume - Winterträumereien in meinem Garten in Ramleh .

أغاني الأشجار وأحلام الشتاء في حديقة الرملة .

(عام ١٩١٥م)

58. Zärtlichkeits-Ausdrücke und Koseworte in der friulanischen Sprache .

أساليب المزايدة وشروط التأثير في لهجة الفربولي (آخر عمل ينشر له أثناء حياته)

(عام ١٩١٦م)

59. Auslug- und Wachttürme Mallorcas .

أبراج المراقبة والمراقبين في مايوركا (أخر عمل ينشر له بعد وفاته) .

(٢)

كانت فكرة الطريق بين مصر وبلاد الشام تشغل بال السير لودفيغ سلفاتور ، وكان يشغل باله دائمًا فكرة إقامة خط حديدي حول الساحل الشامي وربما عضد تلك الفكرة ؛ الأفكار السابقة التي طرحت أثناء إقامة الأرشيدوق لودفيغ في القاهرة ومنها إقامة ميناء في يافا ، وإصلاح ميناء بيروت ، وأخيرًا مد خط حديدي عبر وادي الأردن ، ولكن كان إنجاز تلك الفكرة مرهون بمعاينة ذلك الطريق ولذلك قام لودفيغ بتلك الرحلة ودون كافة ما مر به .

تمثلت صعوبة تلك الرحلة على نحو ما ذكر سلفاتور في شيئين : الأول : أنه بإنشاء قناة السويس انتقلت معظم حركة التجارة بين مصر وبلاد الشام عبرها وبالتالي تعطل طريق القوافل البري كلية وتصحر وزالت معالمه . الثاني : تمثل في أن تجار المواشي كانوا ينقلون مواشيهم عن طريق بواخر يافا وبذلك فإنهم قليلًا ما كانوا يتقابلون عبر الطريق البري للقوافل ذلك الأمر الذي يعضد الفكرة السابقة بتعطل ذلك الطريق .

منهج سلفاتور في هذا الكتاب :

اتسم لودفيغ سلفاتور خلال رحلته بالدقة والتفصيل وقد اتبع في ذلك المنهج السردي الوصفي ؛ حيث كان يصف كل مكان وكل شئ يمر به خلال رحلته ، ولم يكتف بذلك فقط بل كان يبحث في أصل الأشياء وأسباب حدوثها ، وكثيرًا ما كان يميل إلى استخدام الكثير من الصور والتعابير البلاغية مثل " صواري تلك السفن ...تشبه الأشباح المتوارية خلف أمواج الرمال " . ولأنه ليس هناك متعة تقارن بمتعة الصورة فإن لودفيغ سلفاتور قام برسم مايقرب من ثلاثة وعشرين صورة وذلك بريشته ؛ ليجمع مابين الوصف اللفظي والوصف المصور ، وهذا الأمر كان سمة تلك الفترة بأكملها .

أما مصادر معلومات الأرشيدوق في رحلته فيمكن إجمالها في نواح أربعة : كالآتي :- حيث كانت ١- الملاحظة والمعاينة المباشرة المصدر الأساسي له في وصف طريق الرحلة . ٢- معلوماته التي استقاها من بعض الأفراد كالبدو المنتشرين على طول الطريق ٣- المعلومات التي أخذها من رجال بعض الهيئات الحاكمة في العريش أو في خان يونس . ٤- خبرته العلمية التي سبق وأن نوهنا عنها .

مسار الرحلة وأفرادها :

انطلق لودفيغ سلفاتور برحلته عام ١٨٧٨م من القنطرة صوب بلاد الشام ، وكانت قافلته تتألف من عشرة أفراد وهم كالآتي : الأرشيدوق لودفيغ سلفاتور ،وشخص يدعي فيفز وهو سكرتيره وصديقه ، وقائد القافلة الشيخ أبو نبوت ، وأربعة من المكاريَّة أحدهم يدعى أحسن ، وإثنين من الجمَّالة وهم داوُد وحسن إلى جانب الصبي المصري القائم على أمر المطبخ . وكان ذلك العدد خلال مسير القافلة قابل للزيادة والنقصان وذلك وفقًا لما يطرأ عليها من أمور ؛ فخلال رحلتها من القناة صوب منطقة بئر النص انضم إليها اثنان من البدو لتقديم المساعدة مقابل الحصول على البقشيش . كذلك انضم للقافلة عند بئر المغارة شخصان آخران من الزهاد من أسيا الوسطى . علاوة على ذلك كان العدد قابل للنقصان مثل فصبي المطبخ الذي تركوه عند البريج عاد فانضم إليهم مجددًا عند بئر المغارة ، وكذلك قائد القافلة أبو نبوت الذي قبض عليه في العريش وتم إرساله إلى القاهرة .

رافق قافلة لودفيغ سلفاتور حامية عسكرية ولكن لم نستطع أن نحدد عدتها وذلك لأن سلفاتور لم ينوه عنها ولكن يمكننا أن نعرف حجم الحامية التي ألحقت بها فيما بعد ؛ فحاكم العريش زود القافلة بشخص يدعى رمضان قوي البنية لحمايتها ، وبالمثل زودها حاكم خان يونس بحامية قوامها سبعة أفراد ثلاثة من الفرسان وأربعة من المشاة وبذلك يكون عدد أفراد القافلة إضافة للحامية عند انتهاء الرحلة عند غزة واحدًا وعشرين شخصًا .

أما عن دواب القافلة فقد تألفت من سبعة جِمالٍ ، وسبعة خيولٍ ، وخمسة بغالٍ ، وثلاثة حميرٍ .وعن أمتعتها فاحتوت على أربعة خيامٍ ؛ اثنين منها للنوم ، وواحدة كمطبخ ، وأخرى لتناول الطعام . كما احتوت على بعض الأمتعة الأخرى كالملابس ، والأطعمة ، وعلف الحيوان ، وقراب المياه . وفي ذلك ذكر لودفيغ سلفاتور شيئًا غريبًا ولاسيما عند منطقة بئر النص ، وهو تحميل الأمتعة على الخيل رغم أنها ليست وسيلة للتحميل ، وربما مايفسر ذلك أن هذه القافلة كانت مجرد رحلة استكشافية وليست رحلة تجارية ، وبالتالي ليس هناك مشكلة من تحميل الأمتعة عليها

يمكننا من خلال رحلة لودفيغ سلفاتور أن نصل لتنظيم سير القوافل في أواخر القرن التاسع عشر . فحينما يستكمل أفراد القافلة متطلبات رحلتهم يبدأ الجميع في الانطلاق حيث يأتي في المقدمة قائد القافلة " أبو نبوت " وتتجلى مهمته في قيادة القافلة ، ومراقبة الطريق ، علاوة على ذلك كان يتأكد من سلامة المواد الغذائية ولاسيما تأكده من سلامة قراب المياه قبل الانطلاق . وخلف ذلك القائد تأتي البغال والحمير المحملة بالأمتعة والمؤن ومعها الخربندية أو المكارية القائمين عليها والمسئولين عن تحميلها .

وفي المرتبة الثالثة يأتي أفراد القافلة من المسافرين ، ويمتطي غالبيتهم الخيول ، وربما كانوا في ذلك الترتيب حتى يتم توفير قدر لابأس به من الحماية لهم . كذلك ربما ينازع أحد هؤلاء المسافرين قائد القافلة في قيادته لها ، وذلك إذا كان ذو قدر كبير مثل لودفيغ سلفاتور الذي كان ينازع الشيخ أبا نبوت في قيادة القافلة ؛ فكان يصدر الأوامر والتعليمات للخربندية بتنزيل وتحميل الأمتعة على البغال . إضافة

لذلك ربما تولى ذلك الأرشيدوق قيادة القافلة بمفرده عند العريش ، وذلك عندما تم القبض على الشيخ أبي نبوت وتم إرساله إلى القاهرة .

وفي مؤخرة القافلة جاءت الجِمال وكذلك الأشخاص القائمين على خدمتها المعروفين بـ " الجَمَّاله " . وخلال مسيرة القافلة قد تتخطى الجمال أفراد القافلة الذين بدورهم يصبحون في المؤخرة ذلك راجع إلى سببين : الأول : هو إما لسرعة الجِمال من ناحية ، والثاني : أن تلك القافلة مجرد رحلة استكشافية وبالتالي تسير الهوينا ، وذلك يعد ثمة لأفرادها لتتيح لهم المزيد من الاستكشاف والتحري أثناء الرحلة .

أما باقي أفراد الحامية فلا نعلم على وجه التحديد موقعهم ، ولعلهم كانوا يسيرون على الجانبين ، أو ينتشرون على طول القافلة حيث كانوا يركبون الجمال الهجن ، وكانوا مسلحين بالسيوف الطويلة والأسلحة النارية .

وقت مسير القافلة :

كانت قافلة لودفيغ سلفاتور لاتسير مطلقًا بالليل ، ولكن تسير دائمًا في الصباح ، فكانت تنطلق في السادسة صباحًا ، ولاسيما خلال الرحلة من بئر العبد إلى بئر المغارة ، ولكن كان الوقت الثابت المعتاد للانطلاق دائمًا هو في السابعة والنصف صباحًا . وخلال مسير القافلة كانوا يتوقفون أكثر من مرة للراحة وتناول الأطعمة وعندئذ كانوا ينصبون خيامهم في بعض التجاويف المغطاة بالأشجار والشجيرات وذلك لتحميهم من لفح العواصف .

تمكن لودفيغ سلفاتور خلال رحلته من أن يرسم بقلمه معالم الطريق بين مصر وبلاد الشام بطريقة رائعة ، بل وذكر محطات لم ينوه عنها غيره ، لدرجة أن هناك بعض المناطق التي ذكرها لم نجد لها أية ذكر في كتب الجغرافيا والمسالك . وكانت تلك المعالم كالآتي : السويس وهي محطة الانطلاق ، ومنها إلى القنطرة ، ثم إلى منطقة نخيل زايجه ، ومنطقة نخيل العوجه ، ومنطقة نخيل الغريبات ، وبئر النص ، ومجموعة نخيل التحتي ، وقطيا ، ومنطقة بارسات مان ، وبئر العفن ، وبئر العبد ، وبئر المبروكة ، والباصول ، والبريج ، والمستبق " المستبك " ، وبئر

المغارة ، وبحيرة البردويل ، وغريف الجمل ، وبرج الحشيش ، ومنطقة نخيل أبو شيه ، والعريش ، وقبر النبي جاسر ، ووادي الجيردي ، ووادي الخروبة ، والشيخ زويد ، ولزجه ، وعرفه ، ورفح ، وخان يونس وعند تلك المنطقة يتفرع الطريق إلى أربعة طرق : الأول طريق العريش . والثاني : طريق السويس العقبة . والثالث : طريق غزة . والأخير : طريق بنو سهيله . ومن بنو سهيله إلى عبسان ، ثم دير البلح " الداروم " ، وغزة التي كانت المرحلة الأخيرة للرحلة .

كان سلفاتور كثيرًا مايحدد المسافات بين المحطات بالساعات فيقول على سبيل المثال " ذلك المكان أدركناه في غضون ساعة ونصف " . وفي المحطات الهامة من ذلك الطريق يوجد مبنى للحجر الصحي ، والذي يحول دون انتشار الأمراض والأوبئة ؛ بأن يوقع الكشف على المسافرين ويصدر وثيقة صحية بخلوهم من الأمراض ، وهذه الوثيقة تساعدهم في المرور من منطقة لأخرى ؛ ولهذا نرى لودفيغ سلفاتور يذكر اثنين من تلك المباني إحداها في العريش ، والآخر في غزة .

ذكر لودفيغ سلفاتور شئ في غاية الأهمية وهي أن قافلته كان يتم استقبالها وتوديعها من أفراد البلاد ، وذلك مثلما حدث معه عند دخول مدينة العريش حيث استقبله عدد من الرجال خارج سور المدينة ، وعند رحيل القافلة منها خرج حاكم المدينة ومعارفه وأهم شخصياتها لتوديعه . نفس الأمر حدث للقافلة عند منطقة خان يونس . وكان هناك أيضًا استقبال من نوع آخر للقافلة تلقاه من البدو مثلما حدث في الشيخ زويد ذلك الأمر الذي أرجعه لودفيغ سلفاتور إلى رغبة هؤلاء البدو في الحصول على البقشيش . وهذا الأمر كله يؤكد أن القوافل في ذلك الوقت كانت تلقى الاستقبال والتوديع وربما كان هذا الأمر إذا كانت القافلة ذات قدر كبير لوجود شخصية هامة بها ، وربما كان نتيجة لكبر حجم المدينة التي تمر بها القافلة ، أو أنها عامرة ومأهولة بالسكان .

أهمية البريد خلال الرحلة :

وحتى يستقيم أمر الطريق بين مصر وبلاد الشام تقفي لودفيغ محطات البريد عبره ، وخلال ذلك الاقتفاء ذكر معلومات في غاية الأهمية منها على سبيل المثال :

أن البريد كان يرسل عبر ذلك الطريق بشكل أسبوعي ولاسيما بين العريش والعالم الخارجي كأحد وسائل الإتصال الهامة . وكذلك ذكر بعض الاحتياطات التي كان يتم إتخاذها بتلك المحطات البريدية ؛ حيث كان يتم تزويدها بالأسلاك والعوازل التي تتجلى مهمتها في حفظ البريد إذا ما حدث بها بعض التدمير جراء بعض الرياح المدمرة .

إضافة لذلك تم تزويدها ببعض الخدمات البريدية ، وفي بعض الأحيان كان يلحق بها بعض المنازل والحظائر المملوءة بالطيور من الدجاج ، والديوك الرومي ، والحمام ، والبط وربما كان وضع ذلك من أجل سد حاجة أفراد هذه المراكز من الغذاء ومن الراحة . وكانت خريطة المحطات البريدية التي رسمها لودفيغ كالآتي : بريد القنطرة ، و بريد قطيا ، و بريد بئر العبد على مقربة من سلسلة جبال المغارة ، ومحطة بريد في منتصف الطريق بين بئر العبد وجبال المغارة ، و بريد بئر المغارة بجوار قبة الشيخ سليمان ، ومحطة بريد العريش المسماه بمحطة الخديو ، و بريد الشيخ زويد .

كانت العريش واحدة من المدن التي وصفها السير لودفيغ سلفاتور وكان وصفه لها أكثر من وصفه لبقية المدن الأخرى ، وربما يرجع ذلك لكونها أكثر نبضًا بالحياة ، ولكونها مدينة على طريق القوافل وتجارتها قائمة على الأخيرة ولهذا استهل حديثه عنها بذكر موقعها الجغرافي ، وظروفها المناخية ، وتعدادها السكاني .

وفي معرض حديثه عن المدينة ناقش مسألة ثروة أفرادها ، وأنها قائمة على مايمتلكونه من الإبل ، في حين نجد أن الغالبية منهم فقراء. وفي نفس السياق عرض الكثير من المعلومات عن ثروة المدينة الحيوانية والسمكية والنباتية .كما تحدث عن بعض الصناعات القائمة مثل إعداد الأسماك المملحة من أسماك بحيرة البردويل ، وصناعة السكر القائمة على أشجار النخيل هناك ، ويبلغ عددها ستة آلاف نخلة إضافة لقيام صناعة البلح العجوة الذي يتم تصديره . هذا إلى جانب بعض الحرف الأخرى كصناعة المعاطف الشتوية من جلود الأغنام ، وصناعة الزكائب من شعر الجمال ، وصناعة الطواقي .

وتحدث أيضًا سلفاتور عن تجارة المدينة وأنها عبارة عن تجارة ترانزيت قائمة على حركة القوافل المارة بتلك المنطقة . كما أشار إلى صادراتها ووارداتها ولم يكتف بذلك بل ذكر بعض الأسباب التي ساهمت نوعًا ما في تدهور تلك التجارة ومنها إنشاء قناة السويس ، والتي ساهمت في أن أصبح شطرًا كبيرًا من تجارة جنوب بلاد الشام يأتي بحرًا عبر القناة وبالتالي ساهمت في اندثار طريق القوافل البري .

ورغم قصر الفترة التي قضاها سلفاتور في العريش والتي تقدر بأيام معدودة ، فإنها كانت مناسبة له كي يرصد ملامح الهيكل العمراني للمدينة ؛ فقد ذكر قلعة العريش ووصف موقعها ، وهيئتها ، وأبراجها ، ونقوشها ، وأبوابها ، وقاعاتها ، ومحاريبها ، وأثاثها ، ومنافذ تهويتها ، ومخازن أسلحتها . كما وصف بعض المقابر الموجودة هناك . وكذلك مباني المدينة ، وهيئتها ، وطريقة بناءها ، وأخيرًا طرقها . وبطريقة موجزة تحدث عن آبار العريش ، وكذلك طريقة معيشة أفرادها .

وقد حظيت مدينة خان يونس أيضًا بمكانة لدى لودفيغ سلفاتور ، ولكن وصفها كان أقل مرتين من وصف مدينة العريش ، وربما ما جعله يصفها هو أهميتها لكونها آخر أماكن سيادة الباب العالي ولكن وصفه لها اتصف بالسرعة الشديدة ولعل ذلك كان نتيجة لأنها في نهاية الرحلة وكونه متلهفًا لرؤية الأرض المقدسة ؛ فذكر التعداد السكاني بها ، والعوامل المؤثرة في تناقصه كغارات بدو الترابين عليها . كما تحدث أيضًا عن أولئك البدو ، وغاراتهم ، وثرواتهم ، وكذا حامية المدينة ، وعددها ، وهيئة أفرادها .

فضلًا عن ذلك تحدث عن مدارس خان يونس ، وتحدث عن الطبيعة الجغرافية للمدينة ، وهيئة منازلها ، ثم وصفًا لقلعتها بأبراجها ، وأقبيتها ، وأبوابها ، وكواتها ، ومسجدها ، وقبابها ، وكذلك طرق المدينة التي سبق ذكرها من قبل . كما تحدث بشكل مقتضب عن إقتصاد المدينة والقائم على تربية الماشية ؛ فتحدث عن سوق المدينة ، وهيئته ، ومحاله ، وبضائعه المجلوبة من غزة ويافا إلى جانب المنتجات المحلية الصنع . ويبدو أن الإيجاز كان سمة لودفيغ ؛ لذا تحدث بشكل مقتضب عن آبار المدينة ، وصهاريجها ، وأشجارها ، وطيورها ، وحيواناتها .

الفنادق والخنادق :

ونظرًا لطول مسافة الطريق بين مصر وبلاد الشام والتي ربما تقطع في عدة أشهر فإن ذلك كان يحتم على أفراد القافلة المبيت بشكل يومي في الخيام ، ولكي يصبح ذلك أكثر راحة لهم ، فإنهم حينما يمرون ببعض الخانات والفنادق المنتشرة على طول الطريق والتي تتوفر بها سبل الراحة ولهذا سرد لودفيغ سلفاتور قدرًا ضئيلًا منها مثل فندق القنطرة ، وخان العريش ، وخان دير البلح ، وربما كان ضآلة عددها راجع إلى اندثار الكثير من تلك الخانات على مر التاريخ . ويمكن أن تضاف لتلك الخانات ، الأبراج والقلاع والتي قد يبيت فيها أفراد القوافل كقلعة قطيا ، وقلعة برج الحشيش، وقلعة العريش ، وقلعة خان يونس .

الطبيعة النباتية لطريق القافلة :

وقد استغل لودفيغ سلفاتور كونه عالمًا بالنباتات في القيام باكتشاف الطبيعة النباتية للمنطقة على طول الطريق . ومن خلال ما سرده لودفيغ يمكن أن نقسمه إلى قسمين الأول : في الظهير المصري فقد ذكر وجود الكثير من النباتات مثل النباتات الصحراوية ، والنباتات الشوكية التي تدعى Salsolae echinas ، وكذلك أعواد الصبر إضافة إلى نباتات الكوكلاس ، والرجلة ، والأفسنتين " الشيح " ، والرتم ، والبروق ، وأرتيميسا مونوسبرما ، والطرفاء ، السمار . وكذلك بعض النباتات الزهرية من نوع portulaca ، وأزهار سيدم ، وكعب الثلج ، وأزهار السوسن ، والنرجس . علاوة على بعض الشجيرات والأشجار مثل أشجار الأمير " مجيرنتي " ، وشجر الرمان ، وعشب سباد .

وعلى نفس الظهير المصري سرد لودفيغ العديد من مجموعات النخيل والتي تميزت بضخامة أعدادها ، والتي إن دلت على شئ فإنها تدل على الأهمية الاقتصادية لذلك الظهير ، فقد كان نشاط هؤلاء قائمًا في غالبيته على تلك المجموعات بما تنتجه من تمور من مختلف الأنواع ، وتفصيل تلك المجموعات كالآتي : مجموعة تعرف بإسم زايجه وهي في الطريق من القناة إلى بئر النص . ومجموعة نخيل الخوجه " القوقعة " في نفس الطريق السابق . ومجموعة نخيل الغريبات في الطريق من بئر النص إلى قطيا . ومجموعة نخيل بئر النص وهي صغيرة . ومجموعة نخيل التحتي.

ومجموعات نخيل قطيا الأربعة ومجملها ألف وخمسمائة نخلة ، ومجموعة نخيل أبو شيه بعد ملاحة البردويل . وثلاث مجموعات للنخيل في يسار الوادي المقارب لعتميل بن جبر . ومجموعة نخيل العريش . ومجموعات نخيل الشيخ زويد الثلاث .

ولم يختلف الظهير الشامي في طبيعته النباتية عن نظيره المصري فقد ذكر لودفيغ وجود العديد من أشجار الفاكهة كالمشمش ، والتين ، والجميز ، وبعض الأشجار الأخرى كاللوز ، والخروب ، والسدر ، والطرفاء ، والتين الشوكي ، والزيتون . إضافة إلى النباتات الشوكية كالصبار ، وأزهار النرجس ، والبصل البري إلى جانب نخيل مدينة دير البلح .

الطبيعة الجبلية لطريق القافلة :

ولأن عين لودفيغ سلفاتور كانت دقيقة وفاحصة فإنه لم يغفل عن وصف الطبيعة الجبلية للمنطقة على طول الطريق المذكور ، وقد ذكر العديد من الجبال والتلال : منها جبال أبو قصب ، وتلال بئر النص ، وسلسلة جبال المغارة ، وجبال الحلال . ولم يكتف بوصفها أو ذكرها بل أنه أحيانًا كان يعني بدراسة الأرض ، ونوعية التلال الرملية ولاسيما الموجودة بمنطقة لزجه بالشيخ زويد . علاوة على ذلك كان يجمع بعض العينات الحشرية مثل الخنافس الأرضية ، والجعارين ، وخنافس asida ، والصدف والمحار .

الطبيعة الحيوانية لطريق القافلة :

وحتى يكتمل الضلع الثالث لما سبق ، ذكر لودفيغ سلفاتور الكائنات الحية التي تسكن تلك المناطق وحدد أنواعًا بعينها وذلك نظرًا للطبيعة الصحراوية للمنطقة بما تتميز به من طبيعة جافة وحرارة مرتفعة ، فقد ذكر وجود أنواعٍ من الطيور مثل طيور الوقواق ، والأبلق ، واللقلق ، والسلوى ، والطيور الجارحة مثل الشريك ، والحدأة ، والعوسق ، والغربان ، والصقور ، وطيور calander larks إلى جانب كلاب السلوكي التي ذكرها ونسب إحضارها للأرض المقدسة إلى ريتشارد قلب الأسد حيث كانت تستخدم في صيد الغزلان .

الوضع الاقتصادي على طول طريق القافلة :

ومن حين لآخر وعلى طول الرحلة كان لودفيغ سلفاتور يحاول إبراز الأهمية الإقتصادية الممتدة على طول الطريق ؛ فقد بدأ لودفيغ ذلك بوصف قناة السويس وعملية نقل الدواب بها ، وكذلك السفن العملاقة التي تمر بها . ثم تحدث عن القوافل التجارية المارة عبر ذلك الطريق ، فيذكر أنه في الطريق من القناة إلى بئر النص شاهد قافلة قادمة من الرملة لمصر ، وأخرى دمشقية في طريقها للقاهرة وشاهدها بالقرب من بئر قطيا ، وثالثة عند بئر العفن . علاوة على ذلك ذكر ولمرة واحدة الرسوم الضريبية التي تتقاضاها الحكومة من البدو مقابل نخيل قطيا الذي يبلغ ألف وخمسمائة نخلة وجملتها ألف وستمائة قرش في العام . وهذا الرقم في طياته يوضح مدى العائد المادي الذي يعود على أولئك البدو .

مصادر المياه والنشاط القائم عليها:

ويبدو أن وجود بعض الآبار كان ظاهرة ملفتة للودفيغ كي يتحدث عنها في رحلته ؛ وذلك لندرة المياه في تلك المناطق الصحراوية . وتلك الآبار تفاوتت ماؤها مابين العذوبة والملوحة والفساد ، ويذكر من أسماء هذه الآبار : بئر النص وآخر قبله ماؤهما مالحة ، وبئر العفن في الطريق إلى بئر العبد وماؤه فاسدة ، وبئر المبروكة ، وبئر المغارة ، وآبار العريش السبعة التي كانت تستخدم في ري النخيل بها ، وثلاثون بئرًا آخرين بوادي العريش لري الفاكهة ، وبئر خان يونس .

كذلك رصد لودفيغ سلفاتور العديد من الملّاحات ، وهي عبارة عن أماكن لتجميع مياه الأمطار أو البحار لاستخراج الملح وجمعه منها بعد جفاف المياه وتبخرها في فصل الصيف . وقد حاول لودفيغ العثور على قدر من المياه العذبة بها وذلك بالحفر في أرضها كما حدث في ملّاحة المستبق " المستبك " ولكنه ورفقائه فشلوا في ذلك ولهذا اكتفوا بترطيب أقدامهم بالرمال الرطبة . ومن أمثلة تلك الملّاحات ؛ ملّاحة قبل مدينة قطيا ، وأخرى عند جرف بئر العبد ، وملّاحة بئر العبد ، وملّاحة الحكومة عند الباصول ، وملّاحة المستبق " المستبك " ، وملّاحة البردويل ، وملّاحة غريف الجمل ، وملّاحة البحر الكبير ، وملّاحة خطى آدم أبو زيد ، وملّاحة قبل مدينة الشيخ زويد ، وأخيرًا ملّاحة دير البلح . وبذلك يظهر سلفاتور

جانبًا من جوانب النشاط التي تقوم عليه حياة أولئك السكان الذين يقطنون المناطق الواقعة على طول الطريق بين مصر وبلاد الشام .

القبائل العربية على طريق القوافل :

كان طبيعي أن يحظى سكان المناطق على طول الطريق باهتمام لودفيغ سلفاتور ولاسيما السكان من البدو ولكن خلال الرحلة لم يشر لودفيغ صراحة إلا لقله قليلة من القبائل كقبائل الترابين ، وقبائل تدعى السواركة لكنه في العموم لايذكر أسماءهم فيقول في بعض الأحيان " كان يوجد العديد من البدو " . ولم يكتف هذا السير بذلك فقط بل أنه أشار إلى الكثير من الأنشطة الاقتصادية والحرفية التي يقومون بها فيذكر أنهم يشتغلون برعي قطعان الماعز . كذلك قيامهم بعملية تخزين التمور ، وكذلك دورهم في إنتاج الملح الممتاز في الملّاحات ، وأيضًا مشاركتهم في خفارة بعض المحطات والمراكز البريدية مثل محطة بريد قطيا ، وبريد بئر العبد . كما أشار لودفيغ إلي جزءٍ من العلاقات التجارية التي كان يقيمها أولئك البدو مع المناطق المجاورة مثل بدو الزوارقة الذين يقطنون الشيخ زويد ويجلبون الزيوت من غزة . وبنفس الحجم من العرض عرض لودفيغ لبعض الأحداث السياسية التي عايشها أولئك البدو كالمعارك التي دارت بين بدو الترابين والزوارقه وبالمثل غارات بدو الترابين على خان يونس ونهبها .

المقابر والقرافات :

خلال تلك الرحلة قدم لودفيغ سلفاتور خريطة جغرافية توزيعيه لأماكن وجود المقابر والقرافات حيث كان يتعرف عليها من وجود بعض القباب أو عن طريق وجود بقايا الشقاف والأحجار أو وجود سعف النخيل ونباتات الند والصبر . وكانت غالبية تلك المقابر خاصة ببعض المشايخ والأئمة ، اللهم إلا في بعض المناطق الخاصة بدفن العامة ؛ كتلك الموجودة بالعريش ، والشيخ زويد ، وخان يونس . ومن خلال وصف لودفيغ سلفاتور لتلك المقابر فإن غالبيتها خاصه بمشايخ الصوفية ودليل ذلك أن المقابر كانت مغطاه بالقماش الأخضر اللون الذي يعد من ألوانهم المميزة . ومن أبرز تلك المقابر والقباب التي مر بها لودفيغ ؛ قبر الشيخ المزين جنوب محطة

بريد قطيا ، وقبر الجندي إبراهيم باشا عند ملّاحة المستبق " المستبك " ، وقبر الشيخ سليمان عند بئر المغارة ، وقبر بيراكتار حامل اللواء ، ويوجد عند يسار باب قلعة العريش ، ومقبرة محمد الدمياط ، وقبر الشيخ غبارة " جبارة " ، وقبر النبي جاسر " ياسر " ، وقبر الشيخ زويد ، وقبر الشيخ محمد ببنو سهيلة ، وأخيرًا قبر المنطار على تل المنطار .

غرائب رحلة القافلة :

لم تكن تلك الظواهر والأشياء بغريبة عن رحلة لودفيغ سلفاتور فقد ذكر في رحلته العديد منها؛ ففي اللحظات الأولى من عمر الرحلة ذكر ظهور بعض الأشكال الضخمة والأشباح المرعبة للمسافرين في الظلام الدامس . ولم يكتف بذكرها فقط بل وضع تفسيرًا لذلك؛ تمثل في عدم خبرة أولئك المسافرون في التعامل مع ذلك الوضع . كذلك كانت ظاهرة السراب من ضمن الظواهر التي حدثت لأفراد القوافل حيث كان يتراءى لهم بحر كبير تتلاطم أمواجه من بعيد كما حدث لهم عند منطقة الباصول .

لم يغفل لودفيغ سلفاتور أيضًا عن سرد حكايات من التاريخ الاسطوري والتراث الشعبي لسكان بعض المناطق من ذلك ذكره للحكاية الشعبية المحفورة في وجدان الأهالي بمنطقة ملّاحة البردويل ، وهي حكاية أبو زيد الهلالي وذبحه للبردويل حاكم العريش ، ولكن يؤخذ عليه عدم كتابته لأسماء أشخاص تلك الحكاية بشكل صحيح ، ففي معرض حديثه عنها ذكر أنها حكاية أدم أبو زيت ، وربما كان ذلك راجعًا إلى اختلاف لسانه عن اللسان العربي ، وربما كان نطقه لهذا الأسم بهذا الشكل إلى استثقال المنطوق الشعبي لنطق حرف الدال فيحولها إلى حرف التاء . ومن الموروث الفلكلوري أيضًا ذكر لودفيغ أن بعضًا من أهالي العريش كانوا يعلقون جماجم الجِمال على الأبواب لحمايتهم من الأرواح الشريرة وهذا الأمر يوضح أن تلك الأشياء كانت ضاربة في عمق التاريخ .

وعلى الرغم من الوصف الرائع الذي قدمه لودفيغ سلفاتور خلال رحلته إلا أنه يوخذ عليه بعض المآخذ والتي يمكن الرد عليها ومنها :

* أنه خلال وصفه لمنبر مسجد قلعة العريش ذكر وجود شخص قائمًا على خدمة المسجد يدعى كاهن ، وهذا يدل دلالة كبيرة على جهله وعدم درايته بالمسميات

الإسلامية للأفراد القائمين على خدمة المساجد فهو يقصد الشيخ ولكن نتيجة لجهله قام بعمل مقاربة بما يتم في الكنائس .

* وفي وصفه لمنطقة العريش ورغم أن تلك المنطقة يقطنها البدو إلا أنه أطلق على الأخيرين لفظ المحتلين وكأنهم أغراب عن تلك المنطقة .

* يؤخذ عليه أيضًا خطئه في تحديد المعارك ؛ ففي خضم وصفه للمنطقة بين العريش والشيخ زويد تناول بدو الترابين والزوارقه تحوي روايته خطأ كبير حيث يذكر أنه كانت بين القبيلتين السابقتين معركة كبيرة قبل خمسة عشر عامًا ولودفيغ زار المنطقة عام ١٨٧٨م وبذلك تكون المعركة في عام ١٨٦٣م وبالبحث في تاريخ المعارك بين تلك القبائل لم نجد أية معارك في ذلك العام ، والمعارك التي وجدناها هي يوم الحناجرة ١٨٤٨م ، ويوم القرارة الثاني ١٨٥٥م ، وواقعة المكس ١٨٥٦م .

* أخيرًا يؤخذ عليه خطئه في اسم بعض القبائل مثل السواركه حيث يذكرهم داخل متن رحلته بالزوارقه . ويمكن أن نغتفر له ذلك الخطأ لاختلاف لسانه عن اللسان العربي كما ذكرنا من قبل .

-الترجمة العربية-

ـ مقدمة المؤلف ـ

منذ أن سلكت طريقي إلي مصر لقضاء فصل الشتاء هناك . كعادة أي أوروبي قام قديمًا برحلة طويلة لتلك الأرض الجديدة ؛ فقد اهتديت إلي تذكر الإنجازات الهندسية العظيمة وغيرها من تلك التي حققتها طيلة عمري ، وكذلك إمعان النظر في المشاريع المستقبلية للتنمية حيث تبدو المدينة مجال واسع لذلك .

وفي السابق ترامى إلي مسامعنا إتفاق ضخم بخصوص تحسين الاتصالات بين مصر وجنوب بلاد الشام . وكانت هناك اقتراحات بشأن إنشاء ميناء جديد في يافا [1] ، وكذلك سكة حديدية عبر وادي الأردن [2] ، بالإضافة إلي ميناء آخر في

---

[1]) يافا : مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين بين قيسارية وعكّا في الإقليم الثالث، طولها من جهة المغرب ست وخمسون درجة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة ، افتتحها صلاح الدين عند فتحه الساحل في سنة ٥٨٣هـ ثم استولى عليها الأفرنج في سنة ٥٨٧ ثمّ استعادها منهم الملك العادل أبو بكر بن أيوب في سنة ٥٩٣ وخرّبها ، وهذه المدينة ذات أهمية إقتصادية كبيرة فقد كانت من أهم منافذ الإتصال بالغرب اللاتيني حيث كان ميناؤها يستقبل الكثير من السفن التي تحمل التجار والحجاج ولاسيما إلي بيت المقدس فقد كان ذلك الميناء حتي عام ٤٩٦- ٤٩٧هـ / ١١٠٢ – ١١٠٣م يسع لما يقرب من ثلاثين سفينة كبيرة ، ثم ارتفع ذلك العدد إلي ستين سفينة عام ٥٠٤هـ / ١١١٠م ، وفي حوالي عام ١٩٤٨ وماقبلها قامت إسرائيل بضم يافا وحيفا معًا وعرفتا بإسم تل أبيب . ياقوت الحموي : معجم البلدان ،ج٥ ، ط٢ ، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ص ٤٢٦ ؛ البغدادي : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ج٣ ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ص ١٤٧١ ؛ Saewulf , Pilgrimage Of Saewulf To Jerusalem And The Holy Land (1102, 1103.A.D) , Trans by , Brownlow, canon , in , P.P.T.S ., vol .IV , London , 1892 , p.p.5 , 6 ; Albert Of Aachen , History Of The Journey To Jerusalem , (ed. And Trans) . by , Edginton , Susan .B , first published , Oxford university press , NewYork 2007, p.p. 499 : 503 . سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، " صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطي ، ج١ ، ط٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ، ص٢٦٢ ، ٢٦٣ ؛ حاتم عبد الرحمن الطحاوي : الإقتصاد الصليبي في بلاد الشام ، ط١ ، دار عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ص١٣٠ ؛ عاتق بن غيث البلادي : معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، ط١ ، دار مكة للنشر ، مكة المكرمة ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٢٨٣ .

[2]) وادي الأردن : سهل خصيب تبلغ مساحته حوالي ٤٠٠ كم٢، ويتراوح مستواه بين ٢٠٠ وأكثر من ٤٠٠م تحت سطح البحر ، وهو أكثر جهات العالم انخفاضًا تحت مستوى سطح البحر ، وهو إمتداد للانخفاض القاري يقع على إمتداد نهر الاردن داخل أراضي الاردن من ناحية وفلسطين واسرائيل من ناحية أخرى ، ويوجد فيه البحر الميت . احتل العبرانيون وادي الأردن، ثم

بيروت [١] . لذا أعملت عقلي ومخيلتي في ذلك ، وخلال جولاتي المتكررة في منطقة الأزبكية [٢] الجميلة ؛ كانت أفكاري واعتقاداتي مشغولة جزئيًا بالطريق البري بين جنوب بلاد الشام ومصر منذ أن سار اليهود بتلك الصحراء ، وكذلك

اجتاحه الآشوريون والكلدانيون، وحكمه الفرس في زمان قورش، وخضع للإسكندر المقدوني سنة ٣٣٢ ق. م ، واستولت رومانيا على المنطقة سنة ١٠٦ م ، وبقيت بحوزتهم إلى أن طردهم المسلمون بعد أن هزموهم شر هزيمة في معركة اليرموك التاريخية سنة ١٤ هـ/٦٣٦ م، وأصبح الأردن تحت الحكم الإسلامي وخلال الفترة ٥٠٩ - ٥٨٣ هـ/١١١٥ - ١١٨٧ م كان الأردن تحت سيطرة الصليبيين، إلى أن حررها صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٣ هـ/١١٨٧ م بعد معركة حطين المشهورة . وخلال الفترة ق ١٠ - ١٣ هـ/١٦ - ١٩ م كانت الأردن تحت الحكم العثماني . أحمد معمور العسيري : موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر ١٤١٧ هـ/١٩٩٦ - ١٩٩٧ م ، ط١ ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦ ، ص ٤٤٧ .

١) بيروت : مدينة على ساحل بحر الشام تعدّ من أعمال دمشق، بينها وبين صيدا ثلاثة فراسخ ، وطولها ثمان وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وعشرون دقيقة ، وهي ميناء قديم من إنشاء الفنيقيين سماها الرومان Berytus وجددت عمارتها علي عهد أوغسطس في ق١ ، وكانت معسكرًا مهمًا للرومان ، ومن مراكز الثقافة الهيلانية في الشرق الأدني وتدهور حالها في فترة الحروب الصليبية فلم تزل بيروت في أيدي المسلمين على أحسن حال حتى نزل عليها بلدوين الأفرنجي الذي ملك القدس في جمعه وحاصرها حتى فتحها عنوة في يوم الجمعة الحادي والعشرين من شوال سنة ٥٠٣، وهي في أيديهم إلى هذه الغاية، وكان صلاح الدين قد استنقذها منهم في سنة ٥٨٣ هـ ، وقد خرج منها خلق كثير من أهل العلم والرواية ، ولم تبد أهميتها إلا في القرن التاسع عشر . للمزيد انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ،ج١ ، ص ٥٢٥ ؛ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط٣ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، ص٢٤ ؛ بينامين بن بونة : رحلة بنيامين التطيلي ، ترجمة : عزرا حداد ، دراسة وتقديم : عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، ط١ ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ص ٢٣٥ ، هـ ١

٢) الأزبكية :سميت بذلك نسبة إلي الأمير أزبك بن طخخ الظاهري كبير أمراء السلطان قايتباي ، والتي نشأت علي يده فكانت عمارته في عام ٨٨٠ هـ / ١٢٥٧م ، كانت تلك المنطقة خراب ولكنها في السابق كانت عامرة وتعرف باسم منظر اللوق ، وفي ذلك العام جال بخاطر الامير السابق أن يقيم بها مناخًا لجماله حيث كان ساكنًا بالقرب فلما أقامه عمرت هناك العمارة من القاعات والدور والبيوت ، ثم أحضر الأبقار والمحاريث وقام بحفر البركة الموجودة الآن . وعند البركة قامت الناس ببناء الدور والقصور الفاخرة والأماكن الجليلة وأخذت تزداد عمارتها حتي عام ٨٩١هـ / ١٢٦٨ م وقد أرادت الناس أن تسكنها وصارت مدينة علي انفرادها وبني بها مسجد كبير وحوله بنيت الربوع والحمامات والقياصر والطواحين والافران والقصور . ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج٣ ، تحقيق باول كاله ومحمد مصطفي ، سلسلة النشريات الاسلامية ، جمعية المستشرقين الالمانية ، مطبعة الدولة ، استانبول ، ١٣٥٤هـ / ١٩٣٦م ، ص١١٢ : ١١٤ ؛ حسن عبد الوهاب : تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها ، محاضرة ألقيت بالمجمع العلمي المصري في جلسة ١٤ أبريل ١٩٥٥ م ، Bulletin de l'Institue d'Egypte , vol. 37 , le caire , 1955

رحلة المسيح الطفل [١] وغيرها من الأحداث الرائعة التي شهدتها تلك البلاد حيث تعود تلك الذكريات المختلفة إلي الأذهان بمجرد سماع تلك الأسماء !

والرحلات سالفة الذكر جعلتني معتادًا علي كل من مصر وبلاد الشام ، وبالمثل طرق المواصلات المختلفة بينهم فيما عدا طريق القوافل القديم عبر وادي العريش [٢] . وتذكرت أيضًا الموانئ الردئية والمراسي الخطيرة لجنوب بلاد الشام . ولذلك أمعنت النظر في إمكانية إجراء إتصال حديدي " سكة حديدية " حول الساحل ، وفي سبيل عرض هذا الشئ ؛ قمت شخصيًا بتحليل ذلك لاختبار هذا الأساس .

وهناك العديد من العقبات التي واجهتني في سبيل إنجاز هذا الهدف : أولها ينبع من الظروف حيث أنه منذ افتتاح قناة السويس [٣] ؛ فإن الشطر الأكبر من التجارة بين مصر وبلاد الشام نقل عبر الطريق البحري القصير ؛ طريق يافا

---

١) شهدت الجهات الجنوبية من شبه جزيرة سيناء خروج اليهود ونزول الرسالة علي موسي عليه السلام . كذلك عبرت مريم العذراء شبه تلك الجزيرة حاملة طفلها المسيح عليه السلام عائدة من أرض فلسطين إلي مصر ثم من مصر عائدة به إلي فلسطين ، وفيما بعد أصبحت سيناء قبلة المسيحيين جميعًا يهرعون إليها للتبرك بالأماكن المقدسة التي ارتبطت بمرور المسيح وأمه مريم العذراء . أحمد رمضان أحمد : شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطي ، الجهاز المركزي للكتب الجامعية ، القاهرة ،١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م ، ص ١١ .

٢) العريش : سمّي العريش لأن إخوة يوسف، عليه السّلام، لما أقحط الشام ساروا إلى مصر يمتارون وكان ليوسف حرّاس على أطراف البلاد من جميع نواحيها فمسكوا بالعريش وكتب صاحب الحرس إلى يوسف يقول له: إن أولاد يعقوب الكنعاني قد وردوا يريدون البلد للقحط الذي أصابهم، فإلى أن أذن لهم عملوا لهم عريشًا يستظلون تحته من الشمس فسمي الموضع العريش، فكتب يوسف إلى عامله يأذن لهم في الدخول إلى مصر . ياقوت الحموي : معجم البلدان ،ج٤ ، ص ١١٣ ، ١١٤ .

٣) قناة السويس : أو فيما عرف بإسم ترعة السويس وهي تحد سيناء الشمالية من الغرب ، وهي الترعة التي تصل البحر الأحمر رأسًا بالبحر المتوسط ، وتمتد من مدينة السويس فتخترق البحيرة المرة فبحيرة التمساح فبحيرة البلّاح ، ثم تحاذي بحيرة المنزلة من الشرق إلي أن تصل إلي البحر المتوسط عند بورسعيد وطول هذه الترعة ١٦٠ كيلومتر ، وعرضها مائة متر ، وعمقها تسعة أمتار وخمسون سنتيمترًا ، وأكبر البواخر التي يُسمح لها بالملاحة فيها الآن لاتتطلب من العمق أكثر من ثمانية أمتار و٥٣سنتيمتر وقد بلغت نفقات حفرها وتوسيعها ٢٤ مليون جنيه. وقد افتتحت القناة في ١٢ شعبان ١٢٨٦هـ / ١٧ نوفمبر ١٨٦٩م في احتفال مهيب حضره ملوك أوروبا ونواب جميع الدول . نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينها من العلائق التجارية والحربية وغيرها عن طريق سيناء من أول عهد التاريخ إلي اليوم ، تقديم : محمد إبراهيم أبو سليم ، ط٦ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، ص ١١ ، ١٢ .

وبورسعيد [1] وترتب علي ذلك أن اندثر واختفي الطريق الرئيسي القديم الذي كانت ترتاده في السابق كلُ من القوافل ، والرحّاله ، والحجاج . حتي أن تجار الماشية أصبحوا الأن يفضلون إرسال مواشيهم عن طريق البواخر من ميناء التصدير الضخم في يافا إلي الأسكندرية [2] ، لذلك فإن قليلًا من الجماله يتقابلون مرة في هذا الطريق المفضل .

بناءً علي ماسبق وجدت من المناسب أن أطلب قافلة [3] من الخيول والبغال كي تقابلني في القنطرة [1] ، والتي كانت نقطة الانطلاق للصحراء . والصفحات

[1]) بورسعيد : هي مركز محافظة القنال أنشئت عام ١٨٥٩م في الموضع الذي اختاره ديليسبس حين بدأ في حفر قناة السويس . وفي سنة ١٨٦١م أصبحت قرية عدد سكانها ألفا نسمة ، ثم عمرت بالسكان وذلك لوجودها عند مدخل القناة حتي بلغ عدد السكان عند افتتاح القناة ١٨٦٩م عشرة آلاف فرد . وبلغوا في عام ١٨٨١م سبعة عشر ألفا . وحينما وصلت إليها المياه العذبة من ترعة الاسماعيلية عام ١٨٩٥م أصبحت تنافس الأسكندرية وقد أصبحت الممر الرئيسي لتجارة العالم بين الشرق والغرب . محمد رمزي : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلي سنة ١٩٤٥م ، ج١ ، ق٢ ، البلاد الحالية ، المحافظات ومديريات القليوبية والشرقية والدقهلية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤ م ، ص ٦ .

[2]) الأسكندرية : إحتل الاسكندر المقدوني البلاد المصرية عام ٣٣٢ ق.م ، وأسس مدينة الأسكندرية وظلت حتي عام ٦١٤م عاصمة للقطر المصري وهي الفترة التي كانت فيها مصر تحت الحكم اليوناني والروماني . ولكن حينما إحتل عمرو بن العاص الأسكندرية نقل العاصمة إلي القاهرة فقلت أهميتها ، وخاصة لانتقال حركتها التجارية إلي ميناء رشيد ، وفي بداية ق١٩ الميلادي كان سكانها لايتجاوزون سته آلاف فرد . وقد عادت الحياة مرة أخري إلي الأسكندرية بقيام محمد علي بحفر ترعة الأسكندرية وسماها ترعة المحمودية عام ١٨١٧ م ، علاوة علي إنشاء الأرصفة الجديدة وميناء الصناعة ، وأقام فيها قصر التين ، ولهذا توافدت عليها الجاليات الأجنبية وانتعشت حتي زاد سكانها إلي عشرين ألف فرد في عام ١٨٨٢م . محمد رمزي :المرجع نفسه ، ص ٥ .

[3]) قافلة : أما القافلة في الاصطلاح فتعني القيروان بضم الراء وتعني الجيش ، وجماعة الخيل ، ومعظم القافلة . فيقال في حديث مجاهد " يغدو الشيطان بقيروانه إلي السوق " ، وهي كلمة معربة عن كلمة كاروان الفارسية ، والكلمة في الأصل معربة عن الكلمة الآرامية  .وقد انتقلت كلمة قافلة إلي كافة اللغات الأخري وجميعها تتشابه من حيث المنطوق اللفظي ففي التركية والكردية كاربان ، والفرنسية Caravane ، والإيطالية Caravana ، والإنجليزية Caravan ، والألمانية Karavane ، وفي الأرمنية քարավան . ابن منظور : لسان العرب ، ج٥ ، ط٣ ، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص ١٢٥ ، ج١٥ ، ص١٧٦ ، ١٧٧ ؛ الثعالبي : فقه اللغة وسر العربية ، تحقيق : عبد الرازق المهدي ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ، ص٤١ ؛ الحميري : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، تحقيق : حسين عبد الله العمري وآخرون ، ج٨ ، ط١ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م ، ص ٥٤٥٠ ، ٥٥٨٦ ؛ الرازي : مختار الصحاح ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، ط٥ ،

التالية تحوي بين دفتيها قصة رحلتي التي بدأت في مارس ١٨٧٨م ، وفي خيمتي كل مساء كنت أدون ما أمر به . كذلك فإن بحثي أقنعي بأن الخط الحديدي هو حلم متعذر وغير عملي علي الإطلاق وذلك إذا ما نظرنا بعين الاعتبار للرمال المتحركة لتلك الصحراء . لذلك فإن هذا الخط سوف يدفن ويتواري تحت هذه الرمال مع كل عاصفة مهما كانت درجة قوتها ، ولكن يمكن له أن يبقي واضحًا وذلك عن طريق العمل الثابت وبذل النفقات .

كل تلك الاقتراحات لبلوغ هذا الهدف والذي بدا لي بتأسيس ميناء البضائع في بيروت ، والذي ربما تنقل إليه كل بضائع بلاد الشام من خلال طريقين للسكك الحديدية : أولها : يمتد علي طول الطريق الخصب لشمال بلاد الشام ، والآخر يمر عبر وادي الأردن . وفي هذا الصدد تقدم بيروت بالمقارنة مع يافا فوائد جمة ، وذلك لأن أعمال مينائها ستكون أسهل وبالتالي ستكون أقل تكلفة . والمدينة نفسها بجانب كونها ثرية إلى حد ما ؛ فإنها تملك وسائل مواصلات وتجارة برية مع دمشق [٢]

المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ص ٢٥٢ ؛ " Crossing The Desert Caravan " , in , penny magazine of the society for the diffusion of useful knowledge , vol. 394 , London , may.1838 , p.197 . ؛ السيد أدي شير : الألفاظ الفارسية المعربة ، ط٢ ، دار العرب ، القاهرة ،١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ، ص١٣١ .

[١]) القنطرة : بلدة صغيرة في طريق العريش علي شاطئ الترعة الشرقي علي نحو ٣٣ كيلو متر من الاسماعيلية ، و٤٥ كيلومتر من بورسعيد . بني هذه البلده تجار ومتسببون من غزة والعريش والصالحية وغيرها من مدن الوجه البحري فبنوا فيها أولًا أكواخًا خشبية وأقاموا فيها يبيعون المأكولات والملبوسات والحبوب علي عمَّال الترعة والبدو وعابري السبيل . ثم بنوا المنازل بالطوب النئ وسكنوها إلي اليوم . وعدد سكانها عام (١٩١٤ م) ٧٥٠ نفسًا وقد كانوا ٤٠٨ نفسًا في عام ١٩٠٧ م . نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث ، ص١٩٢ ، ١٩٣ .

[٢]) دمشق : هي أكبر مدن سورية وفلسطين وموقعها في أواسط سورية حيث الطول الشرقي ٣٠ - ٣٦، والعرض الشمالي ٢٠ - ٣٣، وهي إلى الشرق بانحراف إلى الجنوب من مدينة بيروت، تبعد عنها ١٤٥ كيلومتراً، وتبعد عن جنوبي حمص ٤ مراحل، وتعلو عن سطح البحر ٢٤٠٠ قدم، ومحيطها ٩ أميال ونيف. وهي مدينة قديمة التاريخ، مضى على بنائها نحو ٣١٤٥ سنة . وكانت تسمّى بإرم ذات العماد، إذ يقال أن الّذي كان بناها جبرون بن سعد بن عاد بن إرم بن سام بن نوح ، ويقال أنها سميت باسم صاحبها الذي بناها وهو دمشق بن قاني بن مالك بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام، وقيل سميت بدماشق بن نمرود بن كنعان . ولدمشق أربعة أبواب: الباب الغربي وهو باب الجابية، والباب الجنوبي ويسمى باب توما ويقال له اليوم باب المصادمة، والباب الشرقي وهو باب الغوطة، ومن الباب الشرقي دخل خالد بن الوليد ومنه فتح دمشق، والباب الشمالي هو باب الفراديس وهو باب كيسان . محمد علي : الرحلة الشامية (١٩١٠) ، تحرير وتقديم : علي أحمد كنعان ، ط١ ، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م ، ص ٦٣ ؛ الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق احسان عباس ، ط٢ ، مؤسسة ناصر للثقافة

وإنجاز هذا العمل يعد علي قدرٍ من الأهمية بالنسبة لي وذلك في سبيل عرض التطور الاجتماعي والتجاري لبلاد الشام ، حيث أنه لايمكنني القيام بذلك دون أن أعبر عن رغبتي وأمنيتي في إنجازه ، والذي ربما يتم تحت رعاية تلك السلطات المهتمة بما أفعله .

زنديس ، بالقرب من ترييستي
أكتوبر ١٨٧٩م

، بيروت ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٤٦٤ .

١ ــ القنطرة .

بداية قامت إحدي قاطرات شركة قناة السويس بنقلنا في الحال من السويس [١] إلي القنطرة حيث كنا نستكمل متطلبات القافلة للانطلاق ، وبمجرد أن وطئت أقدامنا رصيفها ،لاحظنا عبور بعض الخيول عن طريق إحدي المعديات التي أقيمت علي طول جانبي القناة ، فقد اعتاد القارب على الذهاب أكثر من ثلاثة مرات حتي تسني له نقل كافة الحيوانات والأمتعة . علي الجانب الآخر لم يكن إعداد القافلة بالأمر الهين فنادرًا ما تسير الأمور بسلاسه في اليوم الأول من عمرها .

وانطلقت القافلة وفي مقدمتها جاءت البغال محمّلة بالخيام والأمتعة بينما نحن جئنا في مؤخرتها . وقد كان مشهد فندق القنطرة الصغير والمساحات الخضراء المحيطة به آخر عهد لنا بحياة المدينة ، وبعد مركز البريد الذي يميز الطريق بين مصر وبلاد الشام دخلنا رحاب الصحراء متنسمين الحرية حيث الطبيعة الملهمة ؛ فروعة الحياة في البحر يمكن مقارنتها بالرحلة عبر الصحراء ، فالمسافر عبر هذا الطريق الرحب المنعزل يشعر بأنه مكتنف بنفسه وخيله مأسور بنماذج وأشكال غريبة لهذا الأفق البعيد ، وكما أن الصحراء بالنسبة للبدوي تشكل وجدانه ، كان البحر بالنسبة للربان بأسره ، فلكل منهم جوهر ثابت وجاذبية لاتقاوم .

في هدوء....امتطي قائد القافلة الشيخ الكبير أبو نبوت ؛ جواده منطلقًا في مقدمتها وعيناه تحملقان بثبات وإمعان علي طول تلك الطبيعة الرملية المنبسطة ، وتدور في خلده بلاشك أحلام صباه ! ذلك في الوقت الذي كانت سنابك خيله تمخر عباب رمال الصحراء .

---

١) السويس : لما استمر انسحاب البحر الأحمر إلي الجنوب وانفصلت عنه البحيرات المرة أصبحت ميناء مصر عند النهاية الشمالية لخليج السويس هي مدينة كليسما التي سماها العرب مدينة القلزم ، وفي القرن العاشر الميلادي نشأت قرية صغيرة جنوبي مدينة القلزم اسمها السويس وما لبثت أن شملت القلزم وأصبحت هي ميناء مصر علي البحر الأحمر . وفي سنة ١٨٦٣م وصلت إليها المياه العذبة من ترعة الإسماعيلية فزاد عدد سكانها ، وفي سنة ١٨٦٩م فتحت قناة السويس فأصبحت مدينة السويس نقطة هامة للاتصال بين الشرق والغرب ، وقد أنشئت محافظة السويس سنة ١٢٢٥هـ الموافقة لسنة ١٨١٠م . محمد رمزي : القاموس الجغرافي ، ج ١ ، ق٢ ، البلاد الحالية ، ص٧ .

حان لركبنا إذًا أن يتوقف حيث أقمنا الخيام علي مسافة ساعتين من القنطرة ؛ فقد أمرت الخربندي [١] بأن يوقف البغال في ذلك الوادي الرملي الصغير ، والذي كنا قد أدركناه في غضون ساعة ونصف ، ومن محصلة خبرتي أعلم تمام العلم بضرورة التشديد علي تنفيذ الأوامر الصادرة وخاصة عند الشروع في القيام برحلة القافلة لذلك أمرت الخربندي مرة أخري بإعادة حزم الخيام فما كان منه إلا أن شعر بالضيق . علي أية حال واصلنا المسير حتي بلغنا طريقًا ضحلًا وهناك نصبنا الخيام من جديد .وكانت رحلة القافلة مريحة بطريقة نسبية حيث زودت بخيمتين للنوم ، وثالثة لتناول الطعام ، إلي جانب أخري أعدت كمطبخ .

فكت كل الأشياء المحزومة من أمتعة ، وعلف الحيوان ، حتي جرار المياه . فقد اعتاد شيخ القافلة أن يخضع جرار الماء لعملية فحص دقيقة لاكتشاف ما بها من عيب وإصلاحه . عندئذ ساق العطش البغال والحمير إلي القنطرة كي يسكنوا ظمأهم . في حين سيقت الجمال إلي المراعي الموجودة في الجوار حيث النباتات مثل الطرفاء [٢] ، والنباتات الشوكية ، والنباتات الزهرية ، وبعض النباتات الصحراوية الأخري .

أُعدّت الخيام بشكل منظم وكنا قد شعرنا بالراحة بها . وقبل الغروب عادت حيوانات القافلة من القنطرة حيث عادت الخيل والبغال فتم تسريجهما من جديد وتثبيت تلك السروج بحبل طويل . عندئذ ألقي القمر بظلاله علي الرمال جاعلًا إياها تبدو في شكل بديع رائع . وخلال وقت الراحة كنا قد تمكنا من إحصاء عددهم في القافلة فبلغت عدتهم سبعة خيول ، وخمسة بغال ، وثلاثة من الحمير ، أما عدة الجمال فبلغت سبعة جمال ، وجميعها ساعدنا في التجول بحرية في الصحراء .

---

[١]) الخربندية : المكارون كلمة فارسية معربة مأخوذة من خَرْبَنْدَه ومعناها عبد الحمار ، أو مربي الحمار . الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق :عبد العزيز مطر ، راجعه : عبد الستار أحمد فراج ، ج٨ ، ط٢ ، سلسلة التراث العربي ، عدد ١٦ ، وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص ٥٦ ؛ السيد أدي شير : الألفاظ الفارسية المعربة ، ص٥٢ .

[٢]) الطرفاء : الاثل وهو شجر عظيم لها أطراف مثل أطراف الأجمة ، ويصنع منها الأقداح الصفر الجياد ، ومنها صنع منبر الرسول صلي الله عليه وسلم . ابن منظور : لسان العرب ، ج١ ، ص ٦٥٦ ؛ الفراهيدي : العين ، تحقيق مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي ، ج٨ ، دار الهلاك ، القاهرة ، د.ت ، ص٢٤١؛ البخاري : صحيح البخاري المعروف بـ " الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه " ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، ج٢ ، ط١ ، دار طوق نجاة ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ، ص٩ .

وفي ذلك الفضاء الرحب ، وتلك الليلة الظلماء ؛ تراءي للرحالة عديمي الخبرة بعض الأشكال الضخمة والأشباح المرعبة ! لذا سارع المكارية [١] ، والجمالة بإشعال نار ضخمة حولنا حيث نستقر . وكان برفقتنا أربعة من المكارية أحدهم يحمل اسمًا فارسيًا ويدعي أحسن ، واثنين من الجمالة أحدهما يدعي داؤد والأخر حسن ، وكلاهما من العريش . ومن آن لآخر كنا نسمع صوت شيخ القافلة أبو نبوت صادرًا من خيمة المطبخ ، استمر ذلك لبعض الوقت ، وبمجرد أن شعرنا بالآمان ؛ غلبنا النعاس .

---

[١]) راجع الخربندي فيما سبق

٢- إلي بئر النص وقطـيا

في الصباح .. غادرت الجمال مخيم القافلة ، وبحلول الساعة السابعة والنصف قمنا بإعداد الأمتعة وإعادة حزمها فوق الأسرجة مرة أخري . إضافة لذلك كانت آثار ومعالم إقامتنا بهذا المكان لاتزال عالقة بالرمال المتحركة ، وأغلب الظن أنها كانت ستطوي في ثنايا تلك الطبيعة الرحبة حال مغادرتنا لهذا المكان .

وياله من يوم عظيم ! فهواء الصحراء المنعش الطبيعي قد جعلنا نشعر بالنشاط والشدة حيث سيرنا علي نسق واحد عبر تلك الطبيعة الرحبة المكسوة بنباتات الرجلة [١] ، والشجيرات " الأجمة " .وعلي ناحية اليمين ، وربما في ناحية الجنوب الشرقي لاحت لنا إحدي المرتفعات القائمة حيث جبال أبو قصب " جبال أبو قصب السكر " [٢]. ومن أكثر المواضع ارتفاعًا لهذا السطح المتموج تمكنا من رؤية باخرتين لحظة عبورهما القناة إحداهما كانت استرالية .

كان مشهد تلك السفن الهائلة ذات الصواري العملاقة وهي تتقدم تبدو وكأنها تسير في بحر من الرمال (حيث لم تعد القناة نفسها مرئية للعيان) ، وهي من أكثر المشاهد الفريدة التي جعلتنا ندرك ونقدر من جديد قيمة الشخصية الرائعة للمتعهد الكبير السير ديليسبس [٣] .

لم يمض وقت طويل علي إختفاء أكبر صواري تلك السفن المارة ، والتي تشبه الأشباح المتوارية خلف أمواج الرمال التي صادفناها . وبعد أن عبرنا رابية صغيرة علي اليمين طلبت القِربة " قِربة المياه " ، بعدئذ وصلنا لمنطقة متموجة من

---

[١]) الرجلة : نبات من الحمض ، بارد ، لين ، ينفع في الصفراء ، ويعرف أيضًا باسم البقلة الحمقاء وذلك لأنها لاتنبت إلا في مسيل ، وتعرف أيضًا باسم الحوك ، وكذلك باسم الفرفح وذلك لضعفها . الأزدي : جمهرة اللغة ، تحقيق : رمزي منير البعلبكي ، ج١ ، ط١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م ، ص٤٦٤ ، ٥٦٠ ، ٥٦٥ ؛ الفارابي : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ترجمة : أحمد عبد الغفور عطار ، ج٤ ، ط٤ ، دار العلم لللملايين ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص ١٤٦٥ ، ١٦٣٦ ، ١٧٠٥ ؛ الحميري : شمس العلوم ، ج٤ ، ص ٢٤١٩ .

[٢]) ربما سمى بذلك لانتشار زراعات قصب السكر بالمنطقة .

[٣]) ديليسبس : المهندس الفرنسي الشهير والذي يعود إليه الفضل في فتح قناة السويس حيث نال الإذن بفتحها من سعيد باشا سنة ١٨٥٦م في عهد إسماعيل باشا فألف شركة مساهمة ، ودبر ما تحتاج إليه من المال وأنشأها رغم ما اعترضه من الموانع السياسية والإدارية القوية . وقد وعد المسيو ديليسبس عام ١٨٨٣م أن يكون الحد الأدني لرسم المرور عبرها خمسة فرنكات . وكان قد نصب للمسيو ديليسبس تمثالًا كاملًا عند مدخل القنال في بورسعيد . نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث ، ص ١٢ : ١٤ .

الأرض تشرف علي مشهد للجبال ومجموعة من النخيل تعرف بـ " زايجة " الجميلة .

في نفس الوقت انسدل الستار علي ذلك المشهد ، وبدأ يتلاشي بفعل إحدي الظواهر العامة في الصحراء ؛ وهي ظاهرة السراب [١] ؛ فعلي اليمين بدا ذلك السراب كانعكاس لبحيرة ضخمة منتظمة الشكل بسطح مائي متمايل وأمواج متلاطمة . وعلي مقربة من ذلك لاحظنا وجود العديد من البدو وإلي جوارهم نساؤهم اللائي يعملن برعي الماعز ذات الشعر الأسود في المراعي الفقيرة .

وبعيد عن ذلك بقليل ؛ أتينا إلي تجويف صغير كان عبارة عن نبع مائي ولكنه الآن قد جف . ثم صادفنا قافلة في طريقها من الرملة في بلاد الشام صوب مصر بغرض بيع بعض الخيول والبغال الهزيلة . بعد ذلك إنضم إلي رفقتنا اثنان من البدو بغرض البقشيش [٢] المعتاد .

وضعُ مملٌ ... يلقي برتابته علي الطريق ... نفتقر إلي اللهو أو لأي من مصادر التشويق لكن سرعان ما انطلقنا برفقة أحد الجمال الهزيلة التي تحمل البريد

---

[١]) ظاهرة السراب : هي ظاهرة أخبرنا بها القرآن منذ ثلاثة عشر قرنًا " يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا " (سورة النور آيه رقم ٣٩) . ولم تعرفها أوروبا إلا في القرن السابع عشر ، بل لم تتحقق من أمرها إلا تلك الحملة العلمية التي دخلت مصر مع نابليون بونابرت في القرن التاسع عشر . ولا غرابة في ذلك فإن السراب لايوجد إلا في صحاري البلاد الحارة : ذلك أن الشمس إذا ارتفعت حرارتها سخنت الرمال علي سطح الأرض فتسخن به طبقة الهواء التي تلامسها ، وهذه الطبقة تسخن التي فوقها ، وهكذا وبذلك يتمدد الهواء في جميع الطبقات بنسبة حرارة كل واحدة منها ، ويحدث من انتقال الطبقة الساخنة منه إلي أعلي ومن نزول الكتلة الباردة لتشغل محلها تموجات تنعكس في صفائها صور الأشباح القريبة منها ، وهذه الصور تنعكس بمجموعها في منخفض من هذه الرمال المتبلورة فتراها من بعد كأنها حقيقة مجسمة . وكان أول من شرح تلك النظرية هو أمامومنج وهو من أعضاء الحملة العلمية السالفة الذكر . محمد لبيب البتنوني : الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر ، ط٢ ، مطبعة الجمالية ، مصر ، ١٣٢٩هـ / ١٩١١ م ، ص٣١٩ ، ٣٢٠ .

[٢]) بقشيش : عطية مجانية ، واكرامية ، هبه ، رشوة . وفي عام ١٨٩٦ م وما قبلها كانت تسمي باسم هدية ، وذكر البعض أن الهدية كانت علي مستوي السلطان وسموها " السلطان هدية " ، وكان الغرب لايفهمون المعني الكامل للهدية ويعتبرونها غير أخلاقية . وكانت هناك أيضًا " القيصر هدية " وهي أكثر انتشارًا في بلاد القياصرة . أحمد مختار عبد الحميد عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، ج١ ، ط١ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م ، ص٢٣١ ؛ عبد الحميد الثاني : مذاكراتي السياسية ، ط٥ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص٤٠ .

من العريش ، وكنا قد علمنا من راكبه " والذي شعر بالسرور لمجرد مرافقته لهذه القافلة " ؛ بأن البريد يرسل عبر هذا الطريق مرة كل أسبوع ، وتستمر هذه العملية كوسيلة من وسائل الإتصال بين العريش والعالم الخارجي .

غمرت السعادة والفرح ذلك البريدي ، وأثناء سيره مع ذلك الجمل واسع الخطي عبر الأرض الرملية ، لاحظنا تقدم ذلك الجمل مسافة للأمام في حين لم تتمكن خيولنا من اللحاق به . وخلال الطريق جذبت الحشرات اهتمامنا ولهذا جمعنا بعض العينات مثل الخنافس الأرضية Anthia (١) ، وخنافس asida [٢]، وجعارين scarabaeus sacer (٣) وهي نفسها الجعارين التاريخية الخاصة بالمصريين .
وبرشاقة صعدنا إحدي التلال ، وعلي مسافة بعيدة ، وعبر تلك الرمال المتعبة داعب أعيننا السرور حين شاهدنا منظر مجموعة نخيل العوجة " القوقعة " (٤) التي تستقر عند سفح تلك التلال الرملية ، وإليها كانت وجهتنا فلربما نتناول وجبة الغداء أسفل ظلها الرائع . وحينما دنونا كانت الواحة وفي خلفيتها جبال أبو قصب قد أظهرت مشهد الصحراء الساحر ، وبمجرد وصولنا إليها بحلول الساعة الحادية عشر والنصف نصبنا خيمة صغيرة ، وتلطفنا بنسيم أوراق النخيل الطويل الرقيق ،

---

[١]) الخنافس الأرضية Anthia : هي خنافس كبيرة الحجم ، سريعة الحركة ، مدرعة ذات فك حاد وقوي ، ويمكنها أن تطلق سمها لمسافة تصل إلي ٣٠ سم وإذا لم يعالج في الحال يسبب العمي ولاسيما للدجاج والقطط . C. H. Scholtz & E. Holm , Insects of southern Africa , Butterworths, 1985 , p.195 .

[٢]) خنافس Asida : هى نوع من الخنافس ، ومنها الطائرة والأرضية ، وتتميز بوجود بقع على جسدها ، علاوة على أنها تسكن في حفر . stanislav Gorb , Attachement Devices Of Insect Cuticle , London , 2001 , p. 230 .

[٣]) جعارين scarabaeus sacer : هي نوع من خنافس الروث ؛ حيث تقوم بتجميع الروث لكرات وتدحرجه حتي أماكنها وهناك إما تأكله أو تضع فيه بيضها . وهي من أقدس وأشهر الخنافس لدي المصريين القدماء فقد كانت رمزًا للاله خبري Khepri إله البعث . George long , on the sacred animal of Egypt , the british museum , egyptain antiqities , vol.2 , London , 1836 , p.p. 286-319 ; Maurice burton and Robert burton , scarab beetle , vol. 16 , the international wild life encyclopedia , (3rd ed) , marshall , cavedish , 2002 , p.p.2252-2254 ; pat remler , egyptain mythology Atoz , (3rd ed) , infobase publishing , new york , p.p. 169 – 171
[٤]) العوجة: وادي العوجة المعروف بوادي الأعوج ، وسمي بذلك لكثرة تعوجه ، وهو من أشهر فروع وادي الأبيض والذي يخرج من جبل المقراه ويصب في وادي العريش علي بعد ٦ أميال من شمالي المقتضبة ، و١٨ ميلًا جنوبي العريش . نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والجديد ، ص ٧٢ .

وشعرنا بالراحة . فيما بعد قمت برسم صورة لجزء من مجموعة ذلك النخيل (انظر الصورة) ، بينما قام فيفز باصطياد زوج من طيور calander larks [١] ببندقيته ، وكذلك هاجم خيمتنا ثعبان في الساعة الثانية . وقبل مواصلة الرحلة انطلقنا كي نلقي نظرة علي ذلك البئر الصغير ؛ حيث كان مبطن بجذوع النخيل ؛ لحمايته من الرمال ، وكذلك كانت ماؤه مالحة كما هي العادة بالنسبة لينابيع الصحراء .

مرة أخري واصلنا السير عبر تلك الطبيعة الرملية ، وعلي ناحية اليمين شاهدنا منظرًا لقمة جبال أبو قصب ، وإلي مسافة أبعد وصلنا إلي سلاسل ممتدة من التلال الرملية ذات القمم الحادة والتي تبدو وكأنها قطعت بسكين ، وهي لم تكن كذلك بل كان هذا بفعل حركة الرياح . وفي كل اتجاه رأينا أشياء مبعثرة لجيف وجثث الجمال وهياكلهم العظمية ؛ ولهذا مرت خيولنا بهذه المنطقة في اشمئزاز تام . هنا ...كانت الحياة منعدمة ؛ فما قابلناه من المخلوقات التي مازالت موجودة في المنطقة يعدو أعدادًا قليلة من الغربان فقد حلق زوج منها فوق رؤوسنا ولكن لم تكن لدينا الرغبة في اصطيادهما .

وإلي اليمين ، وعند سفح تلك التلال الرملية المنخفضة كانت هناك مجموعة أخري من النخيل والتي يُطلِقُ عليها أهل البلد اسم الغريبات [٢] " المرأة الغريبة أو الأجنبية " ، إلي جانب مخزن أقامه البدو لتخزيين التمور .

استمرت خيولنا الهزيلة في هذه المعاناة متناوبة بين الصعود والهبوط عبر سلاسل من التلال الرملية ذات القمم الحادة والتي بدت في وضوح جدير بالملاحظة في السماء بلونها الأزرق الداكن . هنا وهناك...شاهدنا الروابي حيث الأعشاب التي تنمو بين الرمال والمعروفة باسم " سباد " [٣] والتي استخدمناها كعلف للجمال . تلك

---

١) طيور calander larks : هي طيور القبّرة وهي فصيلة من فصائل العصفوريات ، وهي صغيرة ومتوسطة الحجم والوزن ، وهي من الطيور المطربة ، علاوة اللي أنها ترمز اللي السعادة وكذلك للانطلاق . Stevens, Anthony , Ariadens clue : Aguide to symbols of humankind , (1st ed) , united state , 2001 , p. 303 .

٢) الغربيات : هي دبَّات الغرابيات وهي كثبان رملية عظيمة من الرمال بين قطية وبئر الدويدار تخترقها طريق العريش . نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث ، ص ٢٦ .

٣) سباد : هو أى بقايا من النبات . الزبيدي : تاج العروس ، ج ٨ ، ص١٧٠ .

العزلة الموحشة ومنظرها المهيب كانت خلفية للصحراء بجانب مجموعة من شجر الرمان عند ناحية اليمن (انظر الصورة) .

ورغبة في الشعور بالمتعة والبهجة وصلنا عند مجموعة نخيل بئر النص [١] إشارة إلي " بئر طريق النصف " حيث نباتات الطرفاء المزروعة بالقرب منها . ويستقر ذلك البئر أسفل مجموعة صغيرة من النخيل ناحية اليسار ، ومياهه أيضًا كانت مالحة ولكن بقدر بسيط . وتستقر تلك الواحة علي مسافة ثلاثة أرباع المسافة من القنطرة إلي قطيا [٢] ، وبالرغم من أنها كانت مكانًا مغريًا للراحة ، إلا أننا قررنا المسير ومواصلة التقدم علي طول ذلك الطريق المميز بالبئر عبر الأراضي الرملية العميقة حتي أدركنا مجموعة صغيرة من نخيل التحتي " السفلي " ، حيث منطقة الغريف ، والتي ربما تري إلي ناحية اليمين أو ربما ناحية اليسار من منطقة أبو رمل. وشتان مابين تلك المجموعات الخضراء المفعمة بالروح والحيوية مع منظر الصحراء الموحش حولها .

ومن منطقة التحتي أخذت الأرض في الارتفاح حتي تمكنا من رؤية أعداد لاتحصي من نخيل مدينة قطيا فوق تلك التموجات الرملية ، وفوق ذلك فإن رفقتنا من البدو والذين أنهكتهم الرحلة المتعبة عبر الرمال ، وألهبتهم أشعة الشمس الحارقة ؛ أسهبوا في الحديث معنا عن الفترة الحارة ، وكذلك عن الظل المنعش والمياه الوفيرة التي في انتظارنا .

سرنا عبر الأرض المنبسطة والشجيرات الصغيرة إلي ما يعرف بالملّاحة أو السهل الملحي ، وهناك...وعلي بعد مسافة تمكنا من رؤية وميض تجلي بين جذوع النخيل وقماش خيامنا الأبيض ، وكنا قد وصلنا إليها للتو قبل حلول الظلام .

[١]) بئر النص : هو بئر يدعي بئر النصف ويوجد في منطقة نخيل في وسط سبخة قطيا . نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث ، ص٢٥٣ .

[٢]) قطيا : قرية في نواحي الجفار : في الطريق بين القنطرة والعريش في الجنوب الشرقي من محطة الرمانة وعلي بعد ١٠كم منها . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص٣٧٨ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تقديم وتعليق : محمد حسين شمس الدين ، ج٧ ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ، ص ٧١ ، هـ ١ ؛ محمد رمزي : القاموس الجغرافي ، ج١ ، ق ٢ ، ص٣٥١ .

كانت خيولنا بحاجة لمزيد من الراحة بعد يوم من العمل الشاق ، ولك أن تتخيل كيف كانت ألسنة اللهب المشتعل قريبة من الخيام ، وكيف كانت شهيتنا عندما استمتعنا بوجبة المساء التي أعدت لنا ، كذلك استرخينا علي السجاد الناعم المفرود . وحولنا ضربت قبائل البدو خيامهم ، وكانت أغاني وأهازيج نسائهم تدوي بعيدًا في سكون هذة الليلة .

٣- من قطيا إلي بئر العبد .

وفي قطيا المشمسة استيقظنا ، حيث تلك الواحة الرائعة ذات النخيل الأكثر جمالًا وظلًا ، وبينما كان يتم حزم الخيام استعدادًا للانطلاق المحتمل صوب بئر العبد ؛ قمت سريعًا باستكشاف الجوار ؛ ففي منتصف منطقة النخيل المحيطة بقطيا كما الحزام يوجد ارتفاع مغطي بشقاف القراميد ، وتنمو بينها أعداد هائلة من نباتات سيدم [١] ويتميز بعضها بكثافة الأوراق . وبالقرب من إحدي أشجار الطرفاء وجدنا أطلالًا وبقايا لحصن صغير مهدم يطلق عليه العرب البرج " القلعة " وهو عبارة عن بناء من القراميد والحجارة المتراصة أفقيًا ورأسيًا إلي جانب احتوائه علي سلم حلزوني الشكل بداخله .

وليس ببعيد عن ذلك البناء وجدنا أيضًا قبة تحتوي علي مقبرة ونقش رخامي مكتوب بالعربية طمست معالمه ، بالإضافة إلى زوج من الأعمدة القديمة يتدلي من إحداهما إكليل من الزهور ، كذلك وجدنا سعف النخيل ملقي علي الأرض إشارة إلي مواقع الأضرحة المختلفة . وهناك عدد من المخازن المنتشرة والتي تم بناؤها من سعف النخيل بغية تخزين التمور الناضجة .

كان مشهد الحصن المخرب إلي جانب النخيل المحيط مشهد جدير بالملاحظة ، فقد كانت هناك أربعة مجموعات رئيسية من النخيل ربما بلغ مجمل أشجارها ألف وخمسمائة شجرة ، وفي مقابل ذلك كان البدو القاطنين لتلك المنطقة يدفعون للحكومة ألف وستمائة قرش في العام .

وعند مجموعة النخيل الأولي وبالقرب من القبة يوجد محطة للبريد ، أو منزل صغير للخفراء العرب ، والذين تقع عليهم مسئولية حفظ وخفارة البريد والبرق.

---

[١]) سيدم : نوع من النباتات المزهرة من فصيلة Crassulaceae ، وهي نباتات تتميز بقدرتها علي تخزين المياه . Hideaki Ohba , The taxonomic status ofSedum telephium and its allied species (Crassulaceae) , shokubutsu- gaku zasshi , march 1977, vol.90 , issue . 1 , p.p.41 :56 .

وإلي الجنوب من تلك المحطة توجد قبة أخري خلف تل صغير الحجم تعرف بقبة الشيخ المزين [١] (انظر الصورة) ، وهي مزودة بسلم رخامي عتيق ، وبسقف مستدير مزخرف ، ومحاطه بأعداد ضخمة من أعواد الند (الصبر) [٢] ، وهنا أيضًا وجدنا مكانًا للدفن مع القبور ، وأمكنا الاستدلال عليها من وجود زوج من الاحجار ، وقطعة من سعف النخيل وأوراقه ، وربما دل علي ذلك أيضًا وجود قطعة من عظام الجمال .

ومن تلك القبة تمتد زراعة النخيل بإتجاه الجنوب مع نوع من الورود ، ومع مجموعة قطيا التي كانت في مأمن عن طريق تل من الرمال البيضاء في الجانب الجنوبي الغربي . وفي طريق تجولنا قابلنا العديد من البدو ؛ حيث ألقي اثنان منهم السلام علينا وحيونا بتحية حارة قائلين مرحبًا " أهلًا وسهلًا " ، حيث كنا قد تبادلنا معهم بعض الحديث . وفي الوقت نفسه كان فيفز يصطاد أحد طيور الوقواق cuculus glandarius [٣] الرائعة التي اعتادت الطيران بين هامات النخيل إلي جانب طيور الشريك (الدقنوش [٤]) (shrikes) أو الطيور الجارحة ، وبعض من من طيور الأبلق [١] بلونيها الأبيض والأسود .

---

١) قبة الشيخ المزين : وهي من المناطق التي اكتشفها الأثري كليدا Cledat في حفائر مدينة قطية ، وقال أن الشيخ المزين هو أحد الأولياء . كما وجد شاهدي قبر في مبني فوق قبر الشيخ المزين عليهما كتابة كوفية حيث أرجعهم كليدا إلي ماقبل القرن السادس الهجري عندما كانت الكتابة السائدة علي الحجر الكتابة الكوفية . أما منذ القرن السادس الهجري وما بعده فأصبحت الكتابة السائدة هي الخط النسخي . أحمد رمضان أحمد : شبه جزيرة سيناء ، ص١٤٤ .

٢) الصبر : شجرة حارة ورقها كقرب السكاكين ، طوال غلاظ ، يخرج من وسطها ساق عليه نور أصفر ، كريه الرائحة ، وهو ينقي المعدة والرأس والمفاصل من البلغم ، ويفتح سدد الكبد ويذهب اليرقان ، ويسكن حكة العين ، ويسكن الصداع . الفراهيدي : العين ، ج٧ ، ص١١٥ ، ١١٦ ؛ الحميري : شمس العلوم ، ج٦ ، ص٣٦٥٣ .

٣) الوقواق cuculus glandarius : جنس طير من فصيلة الوقواقيّات ورتبة المتسلّقات ، متوسّط القدّ على قدر الحمامة ، رماديّ الظَّهر أبيض البطن ، يألف الأحراج ويقتات بالحشرات ، لا يحضن بيضه بل يضعه في عشّ طائر آخر ، ويُعتبر من الطُّيور شبه القواطع . أحمد مختار عبد الحميد عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، ص ٢٤٨٦ .

٤) الدقنوش : فصيلة من رتبة العصفوريات تتألف من ثلاثة وثمانين نوعًا ، وهي متوسطة الحجم ، وهي ذات ريش رمادي وبني أو أسود وأبيض ، ومناقيرها معقوفة ، وهذا ما يعكس طبيعتهم المفترسة ، ومن أبرز عاداتها اصطياد الحشرات أو الفقريات الصغيرة . Yosef, Reuven, Family Laniidae (Shrikes) , In Josep, del Hoyo; Andrew, Elliott; David, Christie , Handbook of Birds of the world , Volume 13, Penduline-tits to

استرحنا لبرهةٍ تحت ظلال النخيل ، ثم استكملنا رحلتنا وقت الظهيرة مارين بطريق بئر قطيا الذي كان من أبرز ملامح تلك الواحة الجميلة . حيث كان يتميز بضخامة حجمه ، ومغطي بالقراميد [٢] ، ومزود بقناة أو خندق لتوصيل المياه إلي أراضي الري المختلفة . وهناك وجدنا قافلة دمشقية في طريقها إلي القاهرة وفي زمرتها أعداد من الخيل والبغال تولي مسئوليتها العديد من المكارية . وكان كل من القطيع ومكاريه نحيلي الجسد ذوي الملامح السمراء ، وكانوا مع خلفية النخيل الضخم قد شكلوا صورة متناسقة ومميزة وملفتة للأنظار ، عززها عبق الصحراء والألوان المتنوعة التي ظهرت تحت أشعة الشمس الواضحة في الصباح .

لم يعد لدينا مزيد من الوقت ؛ لذا واصلنا المسير عبر تلك الطبيعة الرملية ، وسريعًا توارت مدنية قطيا الجميلة واختفت من ذلك المشهد كما لو أنها ضرب من ضروب الخيال .

هنا وهناك تنوعت قيم الوحدة والإتساق في مشهد الصحراء ، ذلك المشهد الذي أصبح مفعمًا بالحيوية عن طريق مجموعات صغيرة من النخيل ، وكنا قد استرحنا تحت واحدة منها وكانت هي محطتنا بعد مسيرة طويلة ، حيث كان النسيم يداعب برقته هامات الأشجار التي تعلو فوق رؤسنا مصدرة حفيفًا تناغم معنا ، بينما كنا هائمين في ذلك الأفق الصافي الضارب في الصفرة في مقابل السماء بلونها الأرزق الداكن . كل ما حولنا خيم عليه الهدوء التام .

Shrikes. Barcelona, Lynx Edicions , 2008 , pp. 732–773 ; Clancey, P.A. , Encyclopaedia of Animals: Birds, (ed) Forshaw, Joseph, London: Merehurst Press , 1991. p. 180.

١) الأبلق : طائر ينتمي إلي فصيلة صائدي الذباب

Hoyo, J. del, et al., Handbook of the Birds of the World, vol. 10. Barcelona: Lynx Edicions , 2005 , p. 786 ; Sangster, G., Alström, P., Forsmark, E., & Olsson, U. , Multi-locus phylogenetic analysis of Old World chats and flycatchers reveals extensive paraphyly at family, subfamily and genus level (Aves: Muscicapidae). Molecular Phylogenetics and Evolution , 2010 , p.p. 380–392.

٢) القراميد :الآجُرّ، يسمّى بالرومية قِرْمِيدَى ، وهي حجارة مصنوعة تنضج بالنار يبنى بها ، أو يغطى بها وجه البناء ، وهي أيضًا ما يُطْلى به للزِّينة كالجِصّ ونحوه . الأزدي : جمهرة اللغة ، ج٣ ، ١٣٢٤ ؛ الفارابي : الصحاح ، ج٢ ، ص٥٢٤ ؛ أحمد مختار عبد الحميد عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، ج ٣ ، ص١٨٠٤ .

وبين الحين والآخر كانت جماعة من نساء البدو تمر في الطريق إلي خيامنا حاملة قراب المياه ، ومن المحتمل أنهن كن علي بعد ساعات منها . وبعد فترة وجيزة انطلقنا من جديد عبر الطريق الرملي . يتألف من مجموعة متنوعة من النخيل ، واستمرينا المسير حتي أدركنا منحدر بسيط وصلنا من خلاله إلي تل بارسات مان الرملي في منتصف الطريق إلي بئر العبد . ومن هناك وبالتناوب أخذ الطريق في الصعود والهبوط فوق الأخاديد الرملية المكشوفة ثم مررنا بأحد المنحدرات المزروعة بالشجيرات وبالأعشاب ، ومنه إلي بئر العفن (١) " البئر الكريه " الذي احتوي علي قليل من المياه ولكن كانت غالبيتها فاسدة .

شاهدنا علي مسافة قطعان عديدة من الماعز يرعاها أولئك البدو القاطنين لقطر كامل من المدينة وصولًا إلي البحر . وفي الطريق قابلنا قافلة يقودها بعض الأكراد تتألف من الخيل والبغال والحمير ، وفي طريقها صوب القاهرة يتقدمها رجل متقدم في العمر يرتدي عمامة خضراء .وعلي بعد مسافة تمكنا من رؤية جبل المغارة (٢) وهو عبارة عن جبل بارز ورخو ثم نزلنا في تجويف . وإلي ناحية اليمين منا ، وبين الأخاديد الرملية حيث يستقر غريف بئر العبد توجد ملّاحة واسعة مغطاة بالشجيرات ونباتات الرجلة ، وتحتوي علي قدر قليل من مياه الأمطار .

ويتمثل نشاط تلك المياه في إنتاج الملح الممتاز والذي يقوم البدو بجمعه بعد تبخر المياه عند بداية فصل الصيف ، وشكلت الطبيعة الملساء الثابتة لأرضية الملّاحة مع شجيرات نباتات الرجلة ونباتات القوقال (٣) المزهرة ؛ تغيرًا ملموس لدي كلٍ من الرجال والدواب في نفس الوقت ، وذلك بعد فترة طويلة من السير الشاق فوق تلك الرمال العارية . وكانت الجمال تستلذ بمذاق نباتات الرجلة حينًا حينما تنضج وتصبح خضراء طرية . وفي الملّاحة رأينا اثنين من الجمال محملين بالتبن مع حراسهما من البدو .

---

١) بئر العفن : هو بئر أبو العُفين .يبعد مسافة ساعة وثلث من بَرصه معن . نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث ، ص٢٥٣ .

٢) جبل المغارة : علي نحو ٣٢ ميلًا من مدينة العريش ، و ٦٤ ميلًا من مدينة نِخل ، ينسب إلي مغارة فيه يخرج منها نبع ماء عذب ، وهناك آثار رومانية في الأرجح تدل علي أن تلك الجهة كانت مأهولة في القديم ، ولكن أبنيتها بلا مؤنة كأكثر الأبنية القديمة في الجبال . نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث ، ص ٣٩ .

٣) القوقال : نبات من فصيلة النباتات الخيمية. (المترجم) .

واصلنا السير حتي وجدنا أنفسنا من جديد في رمال عميقة ثم أخذ الطريق في الارتفاع بلطف فوق الأخدود الرملي الآخر وصولًا إلي بئر العبد " بئر الزنجي " القمعي الشكل ، وهناك قضينا ليلتنا . وهو نفس المكان الذي اختاره البدو لإقامة مخيمهم .

لم يكن الوقت متأخرًا علي الإطلاق حينما وصلنا ؛ لذا تسلقت ذلك التل الرملي القريب لأرسم صورة لسلسلة جبل المغارة وأجعلها مضيئة بغروب الشمس (انظر الصورة) . بعد ذلك قمنا بالذهاب إلي أحد أكواخ خفراء البريد والذين رحبوا بنا وأفشوا السلام فينا . وهولاء الرجال كانوا عربًا ، وعاشوا هناك مع وعائلاتهم ، وهولاء أيضًا كانوا مزودين بمخزن من الأسلاك وقليل من العوازل وذلك لحفظ عمل البريد ، وكانوا يضعونها علي فترات علي طول الطريق إلي بلاد الشام وإلي المحطة الأولي التي ذكرتها في قطيا ، وكان كل رجل لديه قسم منفصل يشرف عليه ويراقبه ، وهذه الترتيبات ضرورية جدًا وذلك لما يمكن أن يحدث نتيجة التدمير المفاجئ والذي يحدث نتيجة الرياح الشديدة والمثيرة لرمال الصحراء أحيانًا .

وعند بئر العبد يوجد رجلان لكل منهما منزل منفصل مبني من القراميد وبسقف مسطح من سعف النخيل ، والحياة المنعزلة والهادئة لأولئك الرجال تبدو غريبة بالقدر الكافي ؛ وذلك حينما يفكر المرء في الأخبار الهامة والتي تومض باستمرار فوق رأسه وذلك للتواصل بلا انقطاع . ولقد اجتمع هولاء وتجاذبنا أطراف الحديث معهم لقليل من الوقت ما جعلهم مسرورين كثيرًا ، ولكن كان الفزع يتملكهم وذلك نتيجة للمخاطر المتنوعة التي تحدث لمنازلهم فهي معرضة للرياح القوية والمحملة بالرمال والمعروفة بالخماسين [١] . تلك المنازل كانت ضرورية بالقدر

[١]) الخماسين: هي رياح صحراوية شديدة الحرارة والجفاف تهب علي القسم الشمالي من مصر في فصل الربيع، وذلك في مقدمة المنخفضات الجوية التي تمر بالقرب من الساحل الشمالي للبلاد في هذا الفصل ، وهي تهب من ناحية الجنوب بصفة عامة ، ونظرًا لأنها تأتي من الصحراء فإنها كثيرًا ما تكون محملة بالأتربة والرمال . وقد يحدث أن تصل درجة الحرارة في أثناء هبوبها إلى حوالي ٤٥ درجة مئوية ولكنها لا تلبث أن تنخفض بنحو ١٥ درجة أو أكثر عندما تمر الجبهة الباردة من المنخفض الجوي وتتحول الرياح إلى شمالية أو شمالية غربية . وتعتبر رياح الخماسين من أقسى الظاهرات المناخية التي تشوب مناخ القسم الشمالي من مصر في فصل الربيع. وذلك على الرغم من أنها لا تهب إلا في أيام معدودة . ويعتبر شهر مارس وأبريل أكثر الأشهر تعرضًا لهبوبها ، وتعرف تلك الرياح في جنوب أوربا بإسم السيروكو . ولرياح الخماسين آثار سيئة على النباتات خاصةً في محافظتى الجيزة والقليوبية حيث تقع أكبر مساحة من أراضي الخضر والفاكهة

الكافي لهولاء العرب الورعين المعتدلين . نهاية قمنا بتوديعهم وعدنا سريعًا للخيام لننال قسطًا من الراحة بعد تناول الطعام .

في مصر ، وتتعرض مثل هذه المزروعات الحساسة للتلف الذي ينجم عن انخفاض الرطوبة النسبية انخفاضًا واضحًا دون المعدل . عبد العزيز طريح شرف : الجغرافيا المناخية والنباتية ، ط١١ ، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م ، ص ١٥٤ : ١٥٥ ، ٤٥٥ ، ٤٧٠ ؛ جودة حسنين جودة و فتحي محمد أبو عيانة : قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية ، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ١٦٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ؛ يوسف عبد المجيد فايد : جغرافية المناخ والنبات ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ، ص٥٨ : ٦٣ .

٤- من بئر العبد إلي بئر المغارة .

بحلول السادسة من صباح اليوم التالي . تحرك الجميع ، وفي السابعة نُصبت الخيام . ومن التجويف حيث يستقر بئر العبد ارتقينا أحد المرتفعات المعروفة بحمدة بئر العبد المطلة علي سلسلة جبل المغارة ، والممتدة علي بعد مسافة . يلي ذلك المرتفع أرض مسطحة مزروعة بنباتات الأفسنتين " الشيح " (١) ، ونوع من الشجيرات رمادية الأوراق ذات براعم زرقاء . ثم وصلنا إلي الملّاحة حيث لاحظنا أن مياهها قد جفت وتركت طبقة من الملح . وبعد فترة قصيرة مررنا عبر ذلك السهل والذي اتسم باستواء سطحه حيث تحده من اليمين التلال المرتفعة المترامية الأطراف .

وعلي نفس الجانب يستقر بئر المبروكة (٢) ، وهناك شاهدنا جماعة من البدو يسلكون هذا الطريق تليه أرض كثيرة التلال تعرف بالباصول " البصل " حيث نباتات الرتم ذات الأزهار البيضاء والأوراق الرقيقة ، إلي جانب عدد قليل من الشجيرات . ومن منطقة الباصول ينحدر الطريق عبر أرض رملية ، وإلي ناحية اليسار رأينا ملاحة الحكومة الضخمة ، وعاودتنا ثانية ظاهرة السراب والتي جعلتنا بنشاطها الفائق نعتقد بوجود بحر كبير هناك (انظر الصورة) .

خلال هذا الجزء من الرحلة قابلنا اثنين من البدو رحبوا بنا بمزيد من الاحتفال . هنا ... أيضًا ... تفرقنا بغية اكتشاف المنطقة حيث عثرنا علي عينات من

---

١) الأفسنتين : هو الشيح ويسمي أيضًا بشيبة العجوز والشيخ الرومي . وهو نبات سهلي تتخذ منه المكانس ، وهو من الأمرار . له رائحة طيبة وطعم مر ، وهو مرعي للخيل والغنم . وهو يستخدم في ادرار البول والطمث ، وفي طرد الهوام ، وعلاج لسع العقارب ، وفي قتل دود البطن ، وعلاج الاستقساء . والأفسنتين الرومي يمنع السود عن الثياب ، ويمنع الحبر والمداد من أن يتغير لونه . الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق : إحسان عباس ، ج٥ ، ط١ ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص٥٣٢ ؛ ابن سيده المرسي : المحكم والمحيط المعظم ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، ج٣ ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ص٤١٧ ؛أبو طالب المكي : قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلي مقام التوحيد ، تحقيق : عاصم إبراهيم الكيالي ، ج٢ ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م ، ص١٤٩ ؛ الحميري : شمس العلوم ، ج٦ ، ص٣٥٩٧ .؛ ابن قيم الجوزية : الطب النبوي ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ص٢٢٤ ؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ،ج١٢ ، ط١ ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م ، ص٢٢٤ .

٢) بئر المبروكة : لعله في المنطقة المعروفة بإسم ثميلة مبروكة وهي علي بعد ساعة وربع من بئر العبد . نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث ، ص ٢٥٤ .

نبات الكوكلاس . وواصلنا المسير عبر تلك الطبيعة الموحشة والمغطاة بالنباتات الشجيرية حيث مررنا بإحدي مراكز البريد والتي لفتت انتباهنا لكونها تتمركز في منتصف الطريق بين بئر العبد وبئر المغارة .

هنا ... التحقنا الجمال والتي كانت في العادة تتقدمنا ، ولكن تركناها ثانية حيث قررنا التوقف لتناول وجبة الظهيرة . عندئذ بدأت الرياح تنشط في الجنوب حيث كان الهواء فظيعًا وغير محتملٍ .كما شعرت بالخوف من رياح الخماسين . ولهذا قمنا بنصب الخيام داخل تجويف مغطي بالشجيرات واحتمينا به من لفح العواصف .

غطت الرمال الناعمة كافة ما حملناه معنا من الأزواد والمؤن ، وتمكنا من المرور بمساعدة اثنين من البدو الرحل والذين كانوا يتناولون وجبة صغيرة علي الطريق . حينئذ جاءتنا سيدة عجوز تطلب بعض المياه ، ولكن لم نعطها شئ هي وكل القبائل البدوية التي زارتنا لهذا الغرض ؛ خشية من أن تنفذ أزوادنا في الحال ولهذا كان علينا أن نتكيف مع هذه الحياة البرية الفقيرة ، ولكننا لم نقدر . وكنا قد أعطينا شابًا في الثامنة عشر من العمر لفافة من التبغ ، وكان قد توسل لنا للحصول علي بعض المياه ، ولكننا اعتذرنا له .

كنا قلقين حيال تقدمنا فلم نرتح أكثر من ساعة مستمرين في تقفي أثر محطات البريد حتي بلغنا منطقة رملية كثيرة التلال تسمي بالبريج [١] وهي أكثر أجزاء الطريق إرهاقًا ومهابة ؛ وذلك نتيجة لسيطرة البدو الكاملة عليه إلي جانب الفقر الكامل للمياه . وإلي اليمين يوجد تجويف صغير حيث قمنا بالحفر به حتي أدركنا تلك الرمال الرطبة ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن ، فقد كانت مالحة مما زاد من حدة العطش بدلًا من أن تهدي من روعه ، وكلما تقدمنا في المسير كلما زادت الرياح وشدتها .

١) البريج : هو رجم البريج وكان في تلك المنطقة برج قديم خرب في سفح تلة تُري من الدروب الثلاث (الدرب السلطاني ، ودرب الطوايات ، والدرب الوسطاني) . نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث ، ص ٢٥٤ .

خلال الطريق قابلنا عددًا من البدو يعانون من شدة العطش والحرارة حيث سألونا بعض المياه ، وكان ما يفت في عضدنا ويمزق القلوب رؤيتنا لصغارهم يصرخون ويتوسلون لآبائهم من أجل شربة ماء ، حتي الآن أمكنني سماع نحيبهم المحزن وتخيله ؛ فقد حاول كل شخص تلو الآخر محاولة الحصول علي قطرة ماء واحدة من تلك الزجاجات الطينية الفارغة .

واتذكر إحدي تلك العائلات فقد كانت تتكون من رجل عجوز وثلاثة أطفال صغار ؛ أصغر اثنين منهم امتطوا حمارًا هزيلًا . في حين كان أكبرهم صبيًا نحيلًا يبدو عليه لفح الهاجرة ويسير مع العجوز في الخلف ، وبينما كان ذلك الحيوان يصارع بأرجله ذلك المنحدر الرملي ، كان يمتطيه الصغار ممكسين بلجامه بشدة وبوجوه ثابتة علي مسافة الهدف ، ولكن سرعان ما أسقطهم من عليه مما جعلهم يتأوهون بصوت عالٍ .

وفي رعب وفزع شديدين تدحرج الأطفال الهزال علي الرمال ، ولايمكن لي أن أنسي عيون ذلك العجوز وهو يركض مسرعًا ويبكي قائلًا : الله ... الله متوسلًا ومتضرعًا لرب السماء . ثم جلس ذلك العجوز علي الرمال ضامًا أطفاله بين ذراعيه ، تاركًا حماره يتعافي بمفرده . وكنا مجبرين لأن نمضي فلم يكن بمقدورنا فعل شئ له ، ولكن صلينا كي يساعده الرب .

وبعد أن اجتزنا ذلك الموضع بمسافة بعيدة تحدثنا متسائلين كيف حال الطفل هندو ابن الأربع سنوات والذي كان يعاني من التعب والعطش ، والذي كان يتخيل أن معاناته كانت لاشئ ولكنه مبتسم . بعد فترة قصيرة ذهبنا إلي صبي المطبخ ذو الأصل المصري والذي لم يتمكن من الذهاب بعيدًا . وكان رفاقنا الذين أنهكت قواهم قد تقدموا للأمام علي دواب الحمل تاركين ذلك الصبي الهزيل ، والذي كان ذليلًا بينهم لأن يسلك ذلك الطريق سائرًا علي قدميه عبر هذه الرمال العميقة ، وكان ذلك أفضل ما يمكن أن يفعله . كما توسل لمكارينا ليسمح له بالركوب ، ولكن ذهبت توسلاته سدي ؛ فكل واحد منا اهتم بنفسه فقط . وقد أمرت بإعطائه بعض الخبر واللحم والماء ، بعدئذ اضطررنا لتركه كي يدبر أمره ، ونزلنا ببطء بين الأخاديد

الرملية المستديرة إلي ملاحة المستبق [١] الضخمة حيث الرمال العميقة الساكنة . وقد حاول الجّمالة بالحفر والتنقيب عند موضع قريب من مدخل الملّاحة الحصول علي قدر قليل من المياه ولكن محاولاتهم كانت بلا جدوي لذلك اضطروا فقط لأن يرطبوا أيديهم وأرجلهم ويبردوها عن طريق الرمال الرطبة .

تمتد تلك الملّاحة لمسافة كبيرة حيث تتقاطع في مكان واحد مع تل رملي علي شكل سرج ، ومحاطة بالأخاديد الرملية من كل جانب . وتنحدر تلك الملّاحة بالتدريج إلي سهل مسطح كبير مع إحدي الارتفاعات البسيطة في المنتصف والقريبة من قبر جندي هذا الزمان إبراهيم باشا [٢] والمميز بالأوتاد الخشبية . ذلك الموضع اعتاد البدو علي استخدامه باستمرار كمكان للدفن .

وإلي ماوراء هذا الجزء من الملّاحة يأخذ عرضها في الإتساع ، وكذلك الأخاديد المحيطة بها أصبحت منخفضة بالتدريج ، وقد استمر ذلك المنظر في ناحية اليمين من امتداد جبل المغارة . وفي ذلك الوقت فقط فإن الأمطار الغزيرة تجعل الملّاحة تحتوي علي كمية كبيره من المياه ، كذلك احتوي الطريق الرملي علي قدر كبير من نباتات الرتم [٣] ذات البراعم البيضاء والتي كانت تنمو بوفرة .

هدأت الرياح بالتدريج ، في حين أتي نسيم المساء البارد من إتجاه البحر عندئذ نادي الجمالة في سرور ... الرياح البحرية ... الرياح البحرية " نسيم البحر ". لم يمض وقت طويلُ قبل أن تصبح قبة المغارة علي مرمي البصر فقد شعرنا بالانبساط لاعتقادنا بدنو أجل الرحلة ، وبخفة ونشاط تقدمنا وبحلول الساعة الخامسة

---

١) المستبق : وهي محطة المستبك الحالية والقريبة من بئر العبد وهي علي مقربة من محطة البقارة .أحمد رمضان أحمد : شبه جزيرة سيناء ، ص٨٢ .

٢) إبراهيم باشا : هو الأبن الأكبر لمحمد علي تولي الحكم عام ١٨٤٨م بعد اعتلال صحة أبيه ولكنه توفي في نفس العام . نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث ، ص ٥٤٤ .

٣) الرتم : نبات صحراوي من الفصيلة القرنية ، وهو نبات من دق الشجر ، بزره كالعدس والبزر يقيئ بقوة ، وشرب عصارة قضبانه على الريق علاج نافع لعرق النسا ، وكذلك الاحتقان بنقيعها في ماء البحر، وابتلاع إحدى وعشرين حبة منه على الريق يمنع الدماميل . الزبيدي : تاج العروس ، ج٣٢ ، ص٢١٤ ؛ إبراهيم مصطفي وآخرون : المعجم الوسيط ، ج١ ، دار الدعوة ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م ، ص٣٢٧ ، ٣٢٨ .

وصلنا إلي المخيم والذي نصب علي مقربة من بئر المغارة " بئر الزيارة " في تجويف محاط بالتلال الرملية مماثلة لتلك التي في بئر العبد .

وتستقر فوق تلك الأرض المرتفعة وعلي مسافة قصيرة من ذلك الموضع ؛ نصف قبة متهدمة للشيخ سليمان بنيت منذ ستين عامًا من الأحجار الجيرية المتحجرة حيث كان صدف ومحار من نوع Cardium edule بارز بشكل دقيق ، أما الجانب الآخر منها إلي البحر فكان عبارة عن قوس مدبب . وفي الداخل توجد مقبرة بسيطة مغطاة بقماش كتاني ، ونقش موجود في النافذة الخارجية ، إضافة إلي علم أخضر و اثنين من الرايات البيضاء . كما يوجد ورقتان تحملان النقش الموجود علي الحائط حيث نقش في أماكن عديدة بحروف حمراء ورموز متنوعة .

وبالقرب من القبة يوجد كوخ يسكنه رجال البريد وهم من أبناء القاهرة ، والذين أبدوا لنا الود والصداقة ، وأعطونا بعض القهوة حيث قدمها لنا صبي وسيم . وبعد أن مكثنا معهم لفترة قصيرة عدنا إلي الخيام مرة أخري حيث وجدنا وجبة العشاء قد أعدت .

وفي ساعة متأخرة جدًا فإن صبي المطبخ الذي كنا قد تركناه علي الطريق وجدنا قد أتي إلي المخيم بصحبة اثنين من الفارسيين الحاملين للسكاكين ومعهم أحد الشباب الزهاد " الدراويش " [١] من أسيا الشرقية . وكان الأخير ذو شعر طويل يرتدي ثوبًا مصنوع من رقاع القماش ذات الألوان المتعددة . وهولاء الأشخاص رافقوا رحلة القافلة لمدة يومين حيث كان كل منهما يحمل مخلجة " حجر الرحي " ثقيلة . وغالبًا ما كان ذلك يضفي مزيدًا من التسلية علينا ويجعلنا نلاحظ اهتمام ذلك الشاب الزاهد " الدرويش " ، ومدي احتقاره لتعبه ، كذلك فإنه لم يترك شنطة الصدقات عندما قام بحمل الحجارة علي أكتافه القوية ملتحقًا بنهاية رفقتنا الكبيرة .

---

[١]) الدرويش : هو المتعبد والراهب ، وهي كلمة فارسية معربة مأخوذة من دَرْوِيش ، وأصل معناه قدَّام الباب ، ومنه درويش بالتركية والكردية ، و derviche باللغات الأوربية . السيد أدي شير : الألفاظ الفارسية المعربة ، ص٦٣ .

٥- من بئر المغارة إلي العريش .

غادرنا بئر المغارة في تمام السابعة والربع من صباح اليوم التالي وارتقينا أرضًا مرتفعة قليلًا محيطة بنا تاركين الملّاحة الضخمة إلي اليسار والمعروفة باسم البردويل (١) حيث جعلتها موجات المد العالية تمتلأ بمياه البحر . ثم تتبعنا طريقًا أصغر علي اليمين حيث كان عبارة عن صقع رملي متموج تمكننا من خلاله بعد ساعات عديدة من السير من الوصول إلي الوادي أو قاع الملّاحة المعروفة بغريف الجمل (٢) والمستقر بين سلاسل من التلال المنحدرة .

هنا وجدنا الطبيعة تبدو في جمال بداية العام ؛ حيث القطعان ترعي في المراعي ذات العشب الأخضر الرطب ، وحيث أزهار كعب الثلج وأزهار الربيع الأخري التي تغطيها . وتمتعنا أكثر بذلك المنظر ولاسيما بعدما ارتقينا أحد التلال إلي ناحية اليمين ، وإلي حيث اليسار تستقر الملّاحة المعروفة بالبحر الواسع " البحر الكبير " كما يسميها البدو . وكان نسيمه العليل يداعبنا ويداعب ذلك السهل المتناسق مع جبال المغارة والحلال (٣) .

وفوق التل تناولنا وجبة الغداء ، واستمتعت أعيننا بمنظر البحر البعيد والذي لم نعد نراه طويلًا . عندئذ جاء أحد البدو وجلس معنا دون أن يتفوه بشئ ، فأعطيناه

---

١) بحيرة البردويل : من أشهر بلاد العريش (بحيرة البردويل) وهي بحيرة عظيمة تمتد من خرائب الفلوسيات علي نحو عشرة أميال غربي العريش إلي خرائب المحمدية علي نحو ثمانية أميال شرقي الفرما . طولها نحو ٥٨ ميلًا وعرضها يختلف من نصف ميل إلي عشرة أميال . وهذه البحيرة تعرف باسم سربونيوس ، وكان السفر في هذا المكان محفوف بالمخاطر لان تلك البحيرة لاتبقي علي حال واحدة فكانت إذا سدت الأفواه التي تربطها بالبحر المتوسط تبخر ماؤها الرقراق وبقي في الطريق عدة برك موحلة تسفي الرياح عليها فتغطيها ، وتحجب وحُولها نظر المسافرين فيغوصون فيها . وكانت بلدة وبحيرة ورجم البردويل منسوبة إلي الملك بلدوين الأول من ملوك الصليبيين الذي ملك القدس ١١٠٠م . نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث ، ص٢٧ ، ١٨٩؛ أحمد رمضان أحمد : شبه جزيرة سيناء ، ص٧ ، ٦٧ ، ٦٨ .

٢) غريف الجمل : هي بركة الجمل تقع في الجهة الشرقية من بحيرة بردويل . نعوم شقير : المرجع نفسه ، ص ٢٧ .

٣) الحلال : جبل الحلال وهو جبل عظيم علي نحو أربعين ميلًا إلي الشمال الشرقي من نِخل . قيل سُمي بجبل الحلال لأن حولهُ مراعي متسعة للأبل والغنم المعروفة عند البدو " بالحلال " ، وينفصل عن هذا الجبل شعبة إلي الشرق تدعي " جبل ضَلَفَعْ " تمر بينه وبينها وادي العريش . نعوم شقير : المرجع نفسه ، ص٣٨ ؛ عبده مباشر و إسلام توفيق : سيناء الموقع والتاريخ ، دار المعارف ،القاهرة ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨ م ، ص٦٩ .

قطعة من الخبز ، وعلي ما اعتقد أنها أرضته فقد تركنا وهبط من التل . وقد حان الوقت كي نهبط إلي الوادي ونكمل المسير .

ومازلنا نقتفي أثر محطات البريد عبر ذلك السهل المتموج غير المتناسق والمغطي بالشجيرات حتي وصلنا إلي الملّاحة الطويلة والمحاطة بالتلال المنخفضة ، وفيما وراءها يوجد ما يطلقون عليه " خطوات " آدم أبو زيت (أبو زيد الهلالي)[١] بطل الأسطورة العربية ، والتي حفظها البدو الرحل في تلك الرمال المتحركة .

وتشير أكوام الحجارة القريبة إلي ذلك المكان الذي يقال أن أبو زيت (أبو زيد) قام بذبح بردوفيل [٢] " البردويل " [٣] ، وعلي اليسار أيضًا توجد قلعة مهدمة

١) أبو زيد الهلالى : شخصية غريبة غامضة لم يذكر لنا المؤرخون شيئًا تفصيليًا عنها ، ولكن في ثنايا الكتب بعض نتف قليلة هنا وهناك ، كان أبو زيد هذا في القرن الخامس الهجرى وهو من قبيلة " هلال " ، ونسب إليها فقيل : هلالى ، وهلال هذه كانت قبيلة كبيرة بدوية تسكن نجد ، يجاورهم قبيلة اخرى تدعى سليم ، وكلا القبيلتين جفاة سلابين نهابين يخرجون من ديارهم فيغيرون على أطراف الشام والعراق حتى ضجت منهم الدولة العباسية ، وأرسلت في أيام الواثق سنة ٢٣٠هـ / حملة بأمر القائد التركى بغا الكبير لتأديبهم على ما ارتكبوا من فساد المدينة . وهاجرت القبيلتين إلى مصر ونزلوا بالوجه البحرى ثم طردوا إلى الصعيد لفسادهم ، وبالصعيد قاموا بالسلب والنهب أيضا .وفي خلافة المستنصر ثارت بلاد المغرب عليه فنصحه البعض من مشيريه بأن يبعث بهاتين القبيلتين من العرب إلى المغرب فإن ضفروا بالثائرين فقد كسب البلاد وأخضع الثورة وظفر بالخصوم وإن انهزموا وقى الله مصر شرهم ؛ فأرسلهم الخليفة للمغرب عام ٤٤١هـ / وأعطى كل واحد منهم بعيرًا ودينارين وقال لهم قد أعطيتكم المغرب ففرحوا بها وذهبو إليها وافتتحوا أمصارها ثم كتبوا الى اخوانهم في مصر يدعونهم إلى السفر إليهم ، وقسمت البلاد بين قبيلتى هلال وسليم ودارت بينهما وبين سكان البلا الأصليين كقبيلة زناتة وصنهاجة حروب يطول ذكرها وفي تلك الحروب اشتهر رجال كثيرون منهم أبو زيد الهلالى . أحمد أمين : قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، كلمات عربية للترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣ م ، ص٢٩ ، ٣٠ .

٢) بردويل : هو البردويل بن راشد ، وهو حسب السير الشعبية كان ملكًا من الملوك العظام لوادي العريش ، وكان فارس شديد البنيان ، وكان مجوسي يعبد النار ويسجد للشمس ويستعين بالجان ويقرأ الطلاسم ، وكانت له طاقية إذا لبسها في الحرب اختفي عن عيون مقاتليه . وقد انتهت حياته علي يد أبو زيد الهلالي . تغريبة بني هلال الكبري ، ج١٢ ، قصة البردويل بن راشد ، مكتبة الأندلس ، بيروت ، لبنان ، ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٠ م ، ص٣٢٥ ، ٣٤٢ .

٣) قال الراوي : فلما فرغ أبو زيد من كلامه والبردويل يسمع نظمه استشاط غضبًا وغيظًا فما عدت تسمع الأصياح وهدير ودمدمة في السن مختلفة وكنت تسمع الصوت ولاتري الزوال هذا والبردويل لما وجد حاله مغلوب ولم يقدر أن يختفي من قدام أبو زيد حيث الملائكة العلوية طردت ملوك الجان السفلية إلي سابع أرض وبطيت زيمتهم وعدمت نبعته السحرية ولم تخفه عن الأعين ندم علي ما فرط منه في حرب أبو زيد وكانت عليا تتفرج من الشباك فلما نظرت البردويل قد

مبنية بالأحجار الطفلية الصدفية ، ووفقًا لما ورد في للتراث العربي فهي كانت تخص بردوفيل " بردويل " . وهكذا فإن مخيلة أطفال الصحراء والمناطق المقفرة الموحشة قد غلفت بالاهتمام والربط بين تلك الآثار المهدمة وبين أبطال تراثهم . وعلي مسافة خطوة أو خطوتين توجد أطلالُ مشابهة تعرف ببرج الحشيش " أراضي العشب " والتي يزعم العرب بأنها بقايا لمدينة قديمة (١) .

تمتد ملّاحة البردوفيل " البردويل " العظيمة علي طول تلك الأطلال . كذلك فإن اتساعها قد بلغ درجة كبيرة في الوسط ، وهناك رأينا هيكلًا عظميًا كاملًا لأحد

انقطع أمله وحار في أمره وأبو زيد غلبه فرحت وصارت تزلغط إلي أبو زيد فظن البردويل أن هذا الاغتناء لأجله ولم يعلم أنه لأجل عجزه وفشله فأخذته الحمية والنخوة وهجم علي أبو زيد مثل النمر إذا خطر فتلقاه أبو زيد كما تلتقي الأرض العطشانة وابل المطر وعلا منها الصياح حتي ملا الروابي والبطاح وصار الأمير أبو زيد يدور حول البردويل وهو مشرعًا سيفه الثقيل ورمحه الطويل فحينئذ تيقن البردويل في ذهاب روحه وزوال سعادته فهز أبو زيد في يده عود الزان وصرخ فيه صوت هائل وقال له خذها من يد سلامه لأجل عينين عليا ما لها فردت عليه عليا وقالت له أنا شاهدة ونعم شاهد وقوك ربي يامتين السواعد فلما نظر البردويل هذا تعجب وأخذه الخوف والاضطراب فطلب من أبو زيد الآمان وعلي ما فرط منه ندمان فأنشد من قلب كوته الحسرات هذه الأبيات :

قال ابن راشد في بيوت متممي   النار في قلبي تهب وتضرمي
يا أمير أبو زيد أنا واقع عليك   جيرني ياريت عمرك يسلمي

قال الراوي : فلما فرغ البردويل من هذه الأبيات ونيران قلبه تشتعل بالجمرات وهو متأسف علي مافات قال له أبو زيد دع عنك هذا المقال ولا تطلب المحال ثم صرخ فيه صوتًا مثل الرعد القاصف وانطبق عليه كالموت الخاطف ثم ضايقه وسد عليه طرقه وطرايقه وقرب إليه وحاداه وحك الركاب في الركاب بقلب لايهاب ثم هز عود الزان حتي القوي الكعب ودق السنان وصاح صيحة أرعبته ورفع يده وقال اللهم استر عبدك يامن رفعت السماء وبسطت الأرض وطعن البردويل في صدره خرج الرمح يلمع من ظهره ومن عظم الضربة أصاب الرمح صخرة كانت وراء البردويل فشقها ووقع البردويل علي الأرض يختبط طوله بالعرض وزالت عنه النعم وحلت به النقم وذهبت روحه إلي جهنم فقالت له عليا لاشلت يمينك يافارس الزحام وحامي دين الاسلام وحالا نزل أبو زيد عن ظهر الجواد وسحب لسانه وأزال أسنانه وأخذ الطاقية والدرع والسيف والخودة والرمح ثم تقدم إلي تلك الصخرة وكتب عليها بخط واضح هذه ضربة أبو زيد الهلالي سلامة وذكر في آخر كلامه ملعون بن ملعون كل من يمر من هذا المكان ويقرأ الكتابة ولايمسح الغبار عنها والصخرة موجودة الآن في عريش مصر . " تغريبة بني هلال الكبري ، ج١٢ ، ص٣٤٠ : ٣٤٢ .

١) أغلب الظن أن بقايا تلك المدينة القديمة تقع في منطقة تعرف بالقلس وهي عبارة عن كثيب عظيم من الرمال يمتد نحو ميلين علي شاطئ البحر عند منتصف بحيرة البردويل . نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث ، ص٢٧ ؛ أحمد رمضان أحمد : شبه جزيرة سيناء ، ص٦٨ .

الجمال ، وفيما يبدو أنه كان حديث الوفاة حيث أن خيولنا قد اشتمت رائحته من مسافة ولذلك احترزوا جيدًا أثناء مسيرهم وبعدوا عنه .

وعلي جانبي الطريق الذي يمتد علي طول سلسلة صغيرة من التلال (انظر الصورة) ؛ رأينا قطعان عديدة من الماشية إلي جانب قبائل البدو ؛ كان من بينهم طفلان حاولا عبثًا الإمساك بأحد الجمال الشاردة ، وكان من المسلي والمضحك لأن تراهم يتناوبون الخدع وخفة الحركة لبلوغ هدفهم وهو الإمساك بالجمال .

استمرينا السير حيث مررنا بنخل أبو شيه " نخيل أبو شيه " ، وعند ذلك وجدنا مجموعات من النخيل الصغير ، وهذه المجموعات مع نباتات البروق [١] الزنبقية جعلت الأرض بيضاء اللون إشارة إلي جوار البحر . وكانت المجموعة الضخمة الرائعة تعرف باسم عتميل جبر نسبة إلي شاب من أسرة مشهورة قام بغرس هذه المجموعة . وكان الوادي الذي سرنا خلاله طويل جدًا ، ومتسع ، وغير مطوق بحواجز من كل جانب ، وكان يحتوي علي بساتين عديدة من النخيل كان من أكثرها روعة ؛ ثلاث مجموعات رئيسية تستقر في وادي صغير إلي ناحية اليسار .

وفيما وراء ذلك يؤدي الطريق الواقع بين تلال الرمال المتحركة وعبر أكثر المناطق الصحراوية الخالية إلي مكان مجهور ومنعزل تمامًا ، وبالكاد ما تري شجيرة هناك . كما كانت التلال متلاحقة في صف واحد مع أحد الأودية الصغيرة وبينهما بعض التجاويف . ولم يوجد شئ يفسد هدوء ذلك المشهد الرهيب ؛ فلم يكن هناك أي مخلوق يُري أو صوت يُسمع فيما عدا صوت الأمواج المتلاطمة بعيدًا .

ومازلنا نقتفي أثر محطات البريد حتي أصبحنا في الحال علي مرآي من قلعة العريش ، وهي آخر مركز جهة الشرق من الحكومة المصرية . وبينما كنا نتقدم فوق التلال ثم أكوام الأنقاض ؛ بدا منظر القلعة أكثر وضوحًا . وعلي طول ذلك كان بمقدرونا رؤية غابة النخيل الموجودة تجاه البحر ، وقد أطنب الجمالة علي ظلال

---

١) البروق : نبات ، ويقال أنه هو ما يكسو الأرض من أول خضرة النبات ، ويقول البعض أنه شجر ضَعِيف له ثمر حبه أسود صغار ، ويقول البعض أنها بقلة سوء تنبت فِي أول البقل ، لها قصبة مثل السياط ، وثمرة سوداء. ابن سيده المرسي : المحكم والمحيط المعظم ج٦ ، ص٤٠١ ؛ الزبيدي : تاج العروس ج٢٥ ، ص ٤٢ .

وروعة ذلك النخيل . وفي الواقع لم يكن هذا المشهد أكثر من مجرد صورة جذابة لعقول أولئك العرب لأن يقطنوا هنا . ولكن حينما شعرنا بالتعب والإرهاق لسيرنا فوق الرمال المتحركة تحت لهيب الشمس المحرقة كنا في مقابل مشهد زراعات النخيل والمياه الوفيرة علي شواطي البحر النشط .

وحينما اقتربنا من العريش اصطف واجتمع بعض الرجال خارج سور المدينة ، وبعد أن أجزلنا لهم السلام استمرينا المسير حتي الخيام في الطرف الجنوبي الشرقي من المدينة . وبمجرد أن وصلنا هنأنا أبو نبوت لوصولنا وشعورنا بالآمان عبر هذه الصحراء .

وبعد تناول وجبة العشاء ؛ زارنا بعض رجال الهيئات الحاكمة والذين كانوا في غاية الود معنا ، وكما هي العادة قدمنا لهم القهوة والسجائر . ومع ذلك لم يبقوا كثيرًا معنا كما كنا نحن بحاجة إلي الراحة .

٦- العريش

العريش [١] مدينة صحراوية من أكثر محطات الخديو [٢] تطورًا . كما أنها تملك العديد من الملامح الجديرة بالذكر ، والتي تستحق الوصف المفصل . وكونها نقطة لالتقاء القوافل ؛ فإن الحياة بأكملها بها كانت مرتبطة بتجارة تلك القوافل والتي كان يحملها السكان علي ظهور جمالهم ، إنها حقًا وبمعني الكلمة ؛ مكان للجمالة .

تستقر المدينة علي بعد ميلين من البحر وذلك علي أطراف الصحراء حيث الرياح اليومية النشطة التي تهدد بتغطية جزء هائل من المدينة . وفي الواقع فإن بعض المنازل قد غُطت بالفعل في الربع الجنوبي الغربي منها .

أما عن مناخها فهو صحي للغاية ، ولايري بها أي تساقط للثلوج ، ولكن بها عواصف باردة متكررة ، وهطول كثيف للأمطار وخصوصًا في شهر فبراير . وبالنسبة لدرجة الحرارة فهي مرتفعة ولاسيما بعد رياح الخماسين وذلك في فصل الصيف الذي يعد من أكثر الفصول حرارة حيث يستمر لمدة أربعة أشهر ، وتستمر رياح الخماسين العتية قرابة خمسون يومًا ، وهي رياح مزعجة خصوصًا هنا وذلك لأنها تأتي محملة بكمية من الرمال .

وبالنسبة لتعداد سكانها فيبلغ حوالي ٢٤٠٠ نسمة باستثناء البدو القاطنين في الجوار . مع استثناء آخر وهو أن الأهالي كانوا من المسلمين الأكثر تعصبًا ، وجزء منهم من أصول تركية ، ولكن لا أحد يتكلم اللغة العربية . ويوجد أيضًا ثمانية من المسيحيين ثلاثة منهم نساء .

وتتألف حاميتها من ستين جنديًا ؛ عشرة منهم من سلاح المدفعية تحت قيادة حامي الحصن الذي يتمتع بمهام خاصة في عملية ضبط دخول القبائل العربية . وأيضًا كانت لديه هيبة عسكرية كبيرة . في الحال وضع شيخ قافلتنا نفسه موضع شك

[١]) العريش : مدينة شهيرة علي ساحل البحر المتوسط عند فم وادي العريش ، علي نحو ميلين من الأول وميل من الثاني . وعلي نحو ٢٨ميلًا من رفح ، و٨٥ميلًا من القنطرة . نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث ، ص١٦١ .

[٢]) الخديو : كلمة فارسية وتعني المالك ويلقب بها عزيز مصر ، وكثيرا ما تكتب الكلمة بهذا الشكل " الخديوي " . السيد آدي شير : الالفاظ الفارسية المعربة ، ص ٥٢ .

لذلك قبض عليه وأرسل إلي القاهرة ولهذا أصبحت قيادة القافلة أكثر حرصًا خصوصًا بعد ماحدث أخيرًا وتم معاقبته .

وفي العريش لايوجد أثرياء ، وثروة أغنيائها في الأغلب لا تعدو أكثر من مجرد امتلاك الجمال [١] . وعلي النقيض كان هناك العديد من الأشخاص الأكثر فقرًا ، وكانوا قد اضطروا للحصول علي جمالهم بالدّين . ونتيجة للظروف السابقة كانت هذه الحيوانات هزيلة ، وكذلك كان الفقير المُدان رجلًا محطمًا .

وجملة القول فإنه يوجد في هذا المكان خمسمائة جمل : ستون منها يستخدمها الجنود ، والستون الأخرى من الهجن [٢] واحدة منها تم تعينها لأولئك الجنود أيضًا. وهناك تقريبا اختلافات غير معقولة بين قدرات الجمل والهجين ، وكذلك بين خيول الحمل الإنجليزية وخيول السباق . وربما تشكلت إحدي الأفكار الاستثنائية عن سرعة الهجن من تواجدها بأعداد كبيرة في مدينة العريش ، والتي بمقدورها قطع المسافة من العريش حتي القنطرة بسهولة في يوم واحد . وتعد هذه الحيوانات من أكثرها ملائمة سواء للحمل أو للجري ، وكان ذلك مفاد عملية المقارنة بين الجمل والهجين .

وبالعريش يوجد عشرة خيول ، وعلي الجانب الأخر هناك ما لايقل عن مائة وخمسين من الأتان سواء ذوات اللون الأسود أو الأسود والأبيض والتي استخدمها البدو في السباق . وهناك أيضًا مئتان من الماعز ، ومائة من الخراف ، وخمسة وثلاثون بقرة . وفي الغالب كانت هذه الخراف والأبقار من بلاد الشام . وفي هذه المنطقة تمت تربية أعداد كبيرة من الحمام ، والطيور ، مع وجود القليل من الديوك الرومي ، والبط ، وكذلك الكلاب التي لم تكن هي الأخري بالأعداد الهائلة .

---

١) كان في العريش عام ١٨٩٩م نحو عينًا يملك الواحد منهم من الإبل والأغنام والنخيل والأراضي الزراعية ماقيمته ٥٠٠جنيه إلي ٣٠٠٠جنيه وأثراهم : " الحاج كريم عبد الشافي ، والحاج يوسف عبد الله الطنجير من العرائشية ، والشيخ عطية الغول ، والشيخ صبيح محمد من الفواخرية ، والحاج محمد صالح البك وإخوانه من الأغوات وفريق الشرابجه " . نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث ، ص١٦٩ .

٢) الهجن : جمل أو ناقة ، والهجين هو الذي أبوه عربي وأمه غير محصنة أي غير عربية . الحموي : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، ج٢ ، المكتبة العلمية ، بيروت ، د . ت ، ص ٦٣٤ .

تشمل طيور الصيد في هذه المنطقة ؛ طيور السلوي (خلال موسم الهجرة) ، والأرانب البرية ، والغزلان . والأخيرة يصطادها البدو وهي صغيرة علي مسافة في الداخل ، ولكنها كانت تموت باستمرار حينما تنمو قرونها . وكانوا ينقلوها لمسافات طويلة دون ضرر في سلال مصنوعة من أوراق النخيل ، حيث كانت أرجلها الصغيرة تطوي تحت بطونها ، وكانت رؤوسها تطل فقط من السلال ، وكانت تقيد بإحكام بواسطة إحدي الحبال .

وفي البحر المجاور يكثر وجود الأسماك ، وكان يتم اصطيادها في ضوء القمر بشباك علي شكل الجرس ، أما شباك الجر والسحب فلم يتم استخدامها هنا . ولم يكن في العريش نفسها أكثر من عشرين شخصًا يمتهنون حرفة صيد الأسماك . ومع ذلك كان هناك العديد من صيادي الأسماك الذين تولوا عملية إعداد السمك المملح الذي يجلب من دمياط ويعيش خلف بحيرة البردوفيل (البردويل) . وبنفس الطريقة كانوا يصطادون الأسماك من الملّاحة المشار إليها سابقًا ، والتي يوجد بها أعداد ضخمة من سمك البوري . وكان العرب يستأجرون أماكن الصيد من الحكومة ، ولهذا فكروا في إنشاء قارب للصيد حيث كان الصياد هيثرتو دائمًا ما يأتي من بورسعيد إلي هنا علي طول الساحل سيرًا علي الاقدام .

وبالنسبة لأشجار نخيل العريش ؛ فهناك مايربو علي ستة آلاف نخلة هم عماد الإنتاج المحلي . ولم تتلق الحكومة أية ضرائب عنها ، وكان الترخيص الذي يُمنح لهم يأخذ في الاعتبار كونهم من سكان المحطة والمنطقة المتاخمة لها . ولم يكن هناك أي صناعة للنبيذ من نخيل مدينة العريش ، بل كانت عصارة النبات تدخل بالأساس في عملية إعداد السكر . بينما التمور السوداء والحمراء فيتم الاحتفاظ بها للاستهلاك المنزلي ، في حين الصفراء والعجوة كانت تصدر في جوالق .

وتتكون فاكهة هذه المنطقة في الأساس من التين ، والعنب ، والأخير كان يزرع في الجزء الغربي من المنطقة . ويوجد أيضًا العنب الأبيض في معظم المدينة. وكنا قد سمعنا أن حاكم العريش حاول صناعة النبيذ من تلك الأعناب . وتحتوي المدينة أيضًا علي الشمام ، وتمتد زراعته هنا وخاصة بكثرة في الوادي ، ويقومون بحفظه لبعض الوقت بتعليقه . أما خضروات المدينة فتنوعت مابين الطماطم ، والثوم

، والبصل ، والجزر ، والشعير ، والقمح ، والذرة ، والحمص (الكرسنه) الحلو الصغير وجميعها تفاوتت زراعتها من حيث الكثرة والقلة .

أما عن الحرف الصناعية فكان غالبيتها مهمل تمامًا ؛ فالقليل من أصناف القماش .. إلخ كانت تصنع من أجل الاستهلاك المنزلي فقط . وتشمل هذه الحرف علي سبيل المثال : صناعة المعاطف الشتوية من جلود الأغنام (تصنع من جلود الأغنام الخارجية البسيطة ، وكذلك من الشعر الذي يغطي الجسد) ، وصناعة الجوالق من شعر الجمال ، والمشابهة لصناعة الطواقي (وهي غطاء للرأس أكثر عملية يوفر الدفء الناتج من وضعها تحت الطرابيش التي يرتديها الموظفين ورجال الجيش) ،وصناعة العباءات السوداء والمخططة من أصواف الأغنام مثل مثيلاتها المصنوعة في بلاد الشام .

وتجارة هذه المنطقة ضئيلة ولايعتد بها ؛ فقد كانت عبارة عن تجارة عبور " ترانزيت " ، وفي الحقيقة فإنها قليلة بالنسبة لكونها محطة للجمالة ؛ فالعريش لاتملك أية تجارة ولهذا عانت كثيرًا من إنشاء قناة السويس ؛ حيث كانت غالبية التجارة بين بلاد الشام و مصر تسلك الطريق البحري اللهم إلا جزءً كبيرًا يسلك طريق القوافل الشهير .

ولم تكن هناك أية بضائع تصدر من العريش عن طريق البر فيما عدا تصدير التمور إلي غزة [١] . كما أنه لايوجد بها أية قوارب ، حيث أن شاطئها غير صالح وملئ بالشعاب المرجانية . أما عن الذرة والفاكهة فغالبًا ما تأتي من يافا عن طريق البحر" السفن " ، وأحيانًا تأتي منها الأخشاب لأغراض البناء ، ولم يكن ذلك بصفة مستمرة فقد كانت غالبية الأخشاب المستخدمة في العريش تأتي من الوادي . ولاتأتي هذه السفن معًا أكثر من خمسة عشر أو ستة عشر مرة في العام الواحد سواء كانت محملة كما سبق الذكر أو مستقرة ، وتعود محملة بحمولات من الشمام ،

---

[١]) غزة : مدينة علي شاطئ البحر المتوسط ، وهي علي بعد ١٠ أميال من الخليل بإتجاه الغرب ، وكانت تسمي عام ١١٧٢م باسم " غزره " . Theoderich , Description Of The Holy Places (circa 1172 A.D) , Trans . By , Stewart , Aubrey , in.P.P.T.S., vol.V , London , 1891, p.55 .

والتمور ، وتمور العجوة . وأحيانًا تتحطم السفن في مثل هذه الشواطي الغير مؤهلة لاستقبالها .

وكما ذكرنا بالفعل فإن الخدمات البريدية بين العريش والعالم الخارجي يتم توفيرها من خلال الرسائل البريدية الأسبوعية المرسلة من القنطرة عن طريق الهجن

والآن سأعطيك وصفًا للمكان نفسه ؛ فالعريش تقع علي طول جانب من التل المتموج المقابل للبحر عند سفح القلعة المربعة الأضلاع والمبنية بالأساس من الأحجار الجيرية والكلسية . والمدخل الوحيد لهذة القلعة عبارة عن باب ضخم يفتح علي المدينة ، وبالتالي يوجد البحر علي الجانب الأخر . وعلي الجانب الأخر من الباب يوجد برج مستدير مزود بعمود رخامي _ تاجه مقلوب _ ومبنى في الحجر . وفي الأعلي توجد خمسة ألواح مزودة بالنقوش ، وستة ألواح أخري مستقرة أسفل المزغل ، حيث قتل الفرنسيون حامل اللواء (والذي سيذكر قبره عما قريب) .

ويطلعنا النقش السفلي علمًا أن هذه القلعة يبلغ عمرها ثلاثمائة وسبعة وعشرون عامًا ، كان قد بناها السلطان سليمان ، أما الألواح العليا فتحمل اسم السلطان سليم [١] . وهذا الباب مزود بحوامل حديدية تقود المارة إلي مدخل قاعة

---

[١]) نقش فوق باب القلعة علي لوحة من الرخام كتابات تبين تاريخ بناء القلعة في العصر العثماني واسم المنشئ وفيما يلي بيانها :
الحجر الأول : وما النصر إلا من عند الله .
الحجر الثاني : الضغراءُ وفيها اسم السلطان (سليم سليمان) .
(وتحت الطغراءُ حرره سيد محمد أسعد . خليفة تاريخي سنة ١٢١٤هـ) ١٧٩٩م .
الحجر الثالث والرابع والخامس : تحتوي علي ثلاثة أبيات شعر بالتركية علي كل حجر منها بيت وهي :

كلنجة جاريارك هميتله فتحنه حصنك — ملكلر جملة امداداتيدبلربو فتح غرَّايه
وزير أعظمي يوسف ضيا باشا ديدي تاريخ — مجوهر مصراع ثاني سردارطاق والاية
زهي صاحبقران سلطان سليم خان ثالث غازي — عريشك فتحي أيية آصدي سيفن عرش أعلايه

في سنة أربع عشرة ومايتين وألف .
وترجمتها : لما أتي بعون الله السلطان لفتح الحصن أمدته الملائكة كلها في هذا الفتح الأغر . قال وزيره الأعظم يوسف ضيا باشا تاريخيا في الحروف التالية من المصراع الثاني الذي نقش في طاق الحصن الثاني . حبذا الفاتح سليم خان الثالث الغازي فإنه بفتحه العريش قد علق سيفه في العرش الأعلي سنة ١٢١٤هـ (١٧٩٩م) .

علي شكل حرف T ، وفي المنتصف توجد قبة بيضاوية الشكل ، وعلي الجانب الآخر توجد أقواس مدببة قليلًا . وعند المدخل توجد قنطرة مستديرة ، وأخري مماثلة لها في الطرف المقابل من القاعة حيث يتدلي منها مصباح ، كما يوجد ثلاثة درجات تؤدي إلي المسجد حيث كان هذا الصرح أكثر بساطة ؛ فقد غطي بسقف مستوي من سعف النخيل يحتوي علي صفين من أربعة أقواس مدببة ، وكذلك أربعة أعمدة رخامية قديمة منحوته في الحجر . وإلي يسار المحراب يوجد اثنان من الأعمدة الرخامية البسيطة عليها نقش جداري .

وكان المنبر بنفس الهيئة ؛ فقد صنع من الخشب المدهون باللون الأحمر والأخضر ، ويقوم علي خدمة ذلك المسجد أربعة أشخاص كان من بينهم راهب [١] . وبالمرور يمينًا عبر الباب الجانبي وفي مقابل الجامع وجدنا تابوتًا حجريًا لأحد الفراعنة وهو مصنوع من الجرانيت الأسود يستخدم الأن كحوض مياه ، وهو مغطي من الداخل والخارج بحروف هيروغيليفة صغيرة .

أما داخل الحصن فهواه جاف . كما وجدنا منازل طينية متهدمة للجنود ، وإلي الجانب بعض الشئ يوجد ديوان الحاكم وهو يتألف من بهو بقنطرتين مستديرتين . وفي الداخل يوجد أرائك مغطاه بالسجاد الفاخر . وهناك قمنا بانتظار الحاكم ، وطبقًا للعادات الثابتة قدمت لنا القهوة . بعدئذ قام الحاكم باصطحابنا إلي مخزن الأسلحة حيث كانت هناك قطع صغيرة محملة علي الجمال ، بعد ذلك قادنا إلي أعلي الحصن .

وهذه القلعة بأكلمها كما ذكرنا كانت علي شكل مربع وتحتوي علي أربعة أبراج سداسية الأضلاع مع بعض المزاغل (فتحات) للمدافع البرونزية ، وكان الدهليز في حالة مهدمة وهو يمتد حول كل الأسوار مع متراس ارتفاعه يبلغ سته

الحجر السادس : أمر بإنشاء هذه القلعة مولانا السلطان سليمان بن السلطان سليم ابن السلطان بايزيد بن السلطان عثمان خلد الله ملكه وقدس شوكته وأعز دولته بمحمد وآله وسلم تاريخه في المصراع الأخير .

في عصر بادشاهمر مرحبا بالعارفين

وابشروا فيه أمن الخائفين سنة ٩٦٨هـ سنة ١٥٦٠م . أحمد رمضان أحمد : شبه جزيرة سيناء ، ص١٥٦ ، ١٥٧ ؛ نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث ،ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

[١]) يقصد شيخ .

أقدام ومزود ببعض المزاغل . وأبراج تلك القلعة تشرف علي مشهد كبير من الصحراء ، مع سلاسل جبال الحلال والمغارة البعيدة في الجنوب الشرقي حيث زراعات النخيل التي تنتشر تجاه البحر وفي مدنية العريش نفسها .

وعلي اليسار من باب القلعة يوجد سياج صغير مغطي بالشجيرات إشارة إلي قبر بيراكتر حامل اللواء والذي قتله الفرنسيون في فترة نابليون ، وكان ذلك القبر بسيط مبني من الطين ، ومزخرف عند زواياه بالأعمدة القديمة .

خلاصة القول فإن العريش بدت في حالة فقر مدقع ؛ فشوارعها وعرة وغير معبّده ، وأرضها رملية . واللون الرمادي هو الغالب عليها اللهم إلا في بعض الأماكن يكسر حدته لون زراعات النخيل التي تبدو بارزة فوق المباني التي كانت مبنية من الطين والقش حيث كانت القراميد الطينية تصنع منهم مخلوطين بالأسمنت . كذلك أسقفها كانت مسطحة ولكنها أكثر خشونة . ومعظم هذه المنازل كانت مزودة بأفنية صغيرة متصلة بأبواب منزلقة قاسية . وكانت العادة أن يري الفرد عليها أقواسًا منحنية . وتقريبًا كانت تلك الأفنية مربعة الأضلاع ومزودة بقضيب خشبي كقطعة رأسية .

وعلي تلك الأبواب تم تعليق جماجم الجمال التي وضعها أولئك المحتلون ، والذين كان غالبيتهم من الجماله ، وذلك حماية من الأرواح الشريرة . وأعلي أبواب المدخل تستقر أفرع ضخمة من نباتات الطرفاء التي علقت بالأساس من أجل تظليل المكان . وكانت هذه الأفنية البسيطة تحتوي علي قدر قليل من الأشياء الضرورية ، كما كانت ملكًا خاص للسكان حيث كانوا يرعون بها مواشيهم .

وهؤلاء نادرًا ماكانوا يتواصلون مع بعضهم البعض ، ولكنهم كانوا قريبين من الغرباء مالم يرافقهم أحد الملاك ، وكانت أمتعتهم وآثاثهم عبارة عن قليل من أباريق المياه و أوعية طينية كبيرة الحجم علي شكل براميل خشبية ؛ وذلك لتخزيين الحبوب ، والتي كانت تغلق عندما تمتلأ عن آخرها ، وعند الحاجة لبعض الحبوب يتم الحصول عليها من فتحة موجودة في أسفل البراميل . كذلك فإن حظائر الدواجن كانت تبني من الطين علي شكل الجرس ، وتغلق بحجر عند الضرورة . بالإضافة

لذلك كانت هناك أعشاش الحمام في المزاغل في الحائط الطيني حول الفناء أو في حائط المنزل نفسه .

وإلي جانب الباب توجد أفران الخبز الصغيرة حيث توقد النيران أسفلها . وفي المطابخ يوجد أيضًا أفران صغيرة للخبز بقمم مسطحة مثل مثيلاتها المنتشرة في مصر . وأغلب منازل السكان الأثرياء لم تكن بالأساس مزودة بأفنية مسيجة من كافة الجوانب ، وأحيانًا تكون نوافذها مزودة بحوامل من أجل الجرار و المواد المنزلية .

أحيانًا كانت تبني أعمدة وقواعد داخل المنازل ، وعادة ما توجد أبواب خشبية تفصل بين تلك المنازل والأفنية التي كانت تصلح كنوافذ أيضًا ، كما كانت تضاء العديد من الغرف عن طريق بعض الشبابيك والنوافذ الصغيرة ، والتي بنيت من سعف النخيل الملتصق بالحائط الطيني . وهناك أيضًا طابق علوي قريب من الفناء عن طريق درج متهدم من الرخام المصدف ، كذلك كان الدرج والطوابق في الداخل من الطين ، في حين كانت أسقف تلك المنازل عبارة عن حزم مترابطة من الأوتاد وسعف النخيل مغطأة بأوراق النخيل ، وأخيرًا يغطي الجميع الطين جميعًا . وهذه المنازل مزودة بطوابق علوية يسكنون بها في فصل الصيف ، وهي في العادة مزودة بنوافذ خشبية عديدة لتهويتها ، ومعظم تلك المنازل بها جزء مخصص لتربية الماشية والأغنام .

يوجد بتلك المدينة القليل من المناطق التي تستحق الزيارة ؛ ففي شرق حصن مدينة العريش توجد مقبرة محمد الدمياط [١] ، وهي بسيطة ، ومربعة الجوانب ، وتحمل نقشًا يونانيًا . وفي مقابل ذلك يوجد خان ينزل به الماره يحتوي علي صهريج تحت الأرض مازال يحتوي علي المياه ، و يوجد فوق قطعة أرض غير مستوية تعرف باسم أرض الشيخ الكاشف ؛ كُتاب أو مدرسة للأطفال يجتمعون بها ليتلقوا تعليمهم علي يد معلم ضعيف البصر .

---

[١]) مقبرة محمد الدمياط (الدمياطي) : هي مقبرة موجودة داخل جامع موجود بالعريش كان هذا الجامع قد بنى بأمر سمو الخديو الحالي فاستخدم في بنائه بعض حجارة القلعة الرومانية علي جبل لحفن . ونقش علي عتبه بابه بأحرف ناتئة " أنشئ هذا المسجد المبارك في عصر خديوي مصر عباس حلمي الثاني أدام الله أيامه سنة ١٣١٧هـ ١٨٩٩م " . نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث ، ص ١٦٤ .

أما عن وسط المدينة فيوجد به سوق صغير أو بزار وهو عبارة عن عدد من الأكشاك البائسة (انظر الصورة) ، حيث كنت أبحث عبثًا عن بعض النماذج من الصناعة المحلية . وحينما كنت منشغلًا بإحدي لوحاتي كانت لدي الفرصة لرؤية بعض العملات القديمة الموجودة في الجوار .

وفيما وراء تلك الأرض توجد مقبرة مسيجة بسياج من الشجيرات الشوكية ، وعلي مقربة منها توجد شجرة نبق قديمة جدًا ، وكان ذلك الجانب من أكثر الجوانب المهملة . وهناك أيضًا توجد أعداد ضخمة من المقابر علي شكل الدرج ، وأنواع مختلفة من الأعمدة التي انتشرت هنا وهناك ، بعض منها كان مزين ، إلي جانب قبة هرمية الشكل مغطاة بالطين عرفت باسم قبة الشيخ غبارة [١] .

وعلي الجانب الشرقي المقابل لتلك المقبرة يوجد ارتفاع طفيف في الأرض خلق منظرًا جيدًا للمكان بأكمله ، إضافة إلي أشجار النخيل المترامية تجاه البحر ، وكذلك السهل المزروع بأشجار التين بين الكثبان الرملية للساحل والمقبرة . وحينما كنت أسجل هذا المشهد بفرشاتي ؛ اقترب رجل كبير ونظر إلي قبر بعض الأطفال ، وما من شك أنهم كانوا من ذويه ، ثم رفع بصره متسائلًا عما إذا كنت أبًا مثله ولكن بنبرة أكثر عطفًا أجبته بالنفي ، حقًا إنه "رجل مسكين ! " . وهذه هي القيمة العالية التي يكنها هؤلاء علي نعمة حياة الأسرة . " ولكنه " أضاف بعد صمته " نحن يجب أن نرضي بمشيئة الله " .

هنا وهناك لاحظنا وجود مقابر بحالة جيدة تحيط بها نباتات الصبر ، حيث كانت واحدة أو اثنان منها ذات جدران بيضاء ، ومن جانب جهة الدفن القاحلة كانت هناك العديد من طيور الحداة السوداء ، وصقور العوسق ، والتي بدت وكأنها أرواح تغادر المكان .

---

١) قبر الشيخ غبارة : أو قبة الشيخ جبارة وهي في جبانة العريش القديمة . قيل هو من أولياء البادية ويدّعي الملالحه أنهُ من أجدادهم . وقد رمم هذه القبة عثمان بك فريد أيام كان محافظًا للعريش وبني بجانبها سبيل ماء وكتب علي حجر رخامي فوق باب القبة هذه العبارة : " هذا مقام الشيخ جبارة جدده عثمان بك فريد محافظ العريش سنة ١٣١٧هـ سنة ١٨٩٩م " . نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث ، ص ١٦٤ .

أما عند الناحية الغربية للمقبرة ، وأسفل المدينة يوجد وادي أو منحدر مزروع بنباتات الطرفاء وأشجار التين ؛ يحتوي علي ثلاثة آبار مزودة برافعات للمياه . وهناك أيضًا أعداد من النساء والأطفال حاملين للقدور السوداء وقادمين من غزة إلي هناك لملء المياه . ولنا أن نتخيل الحياة الرائعة والحيوية في هذا المشهد ؛ فالمياه مالحة مثلها مثل كل الآبار في المكان ، في حين كانت مياه الوادي عذبة تمامًا

واصلنا السير في إتجاه الغرب حتي بلغنا إحدي محطات البريد وبداية الطريق المار عبر الصحراء والممتد أمامنا . وهذا الطريق هو نفسه الذي جئنا من خلاله إلي العريش . وأطلال المباني القديمة والتي تشير إلي أنها كانت مأهوله منذ فترة الحروب الصليبية [١] ؛ كانت منتشرة في كل مكان . ومعظم هذه الأطلال يمكن اقتفاؤها بوضوح . ويقال إن العملات القديمة مازالت موجودة تحتها . وهناك أعداد هائلة من نباتات الصبر والتي ربما تشير إلي بعض المقابر الموجودة في هذا الموضع . وكان ذلك المنظر الجيد للمكان وللبيئة المحيطة به يشمل البحر وأشجار النخيل الخضراء المحيطة بالقرب منه .

ومستشفي الحجر الصحي lazaretto [٢] عبارة عن بناء رث مزود بسارية علم ، ومنزلين أنشئ كل واحد منهما علي جانب . أما مدخلهما فكانا في الجهة

---

١) الحروب الصليبية : هي حروب شنها الغرب علي الشرق الاسلامي ، وساد الاتفاق علي أن مداها الزمني يمتد من ١٠٩٥م وحتي عام ١٢٩١ م ولكن قبل تلك الفترة وبعدها هناك حروب أخري . علي أية حال فإن أشهر تلك الحروب ثماني حملات ؛ اتجهت أربعة منها نحو الشام (الأولي والثانية والثالثة والسادسة) ، واثنين علي مصر (الخامسة والسابعة) ، وواحدة علي افريقيه (الثامنة) ، ومن أسبابها : الباعث الديني " في كونها كانت حروب دينية استهدفت عن طريق مباشر أو غير مباشر الاستيلاء علي الأرض المقدسة بالشام " ، والباعث الاقتصادي بكونها " تجربة في الاستعمار الغربي قامت بها الأمم الأوربية خارج حدود بلادها لتحقيق مكاسب اقتصادية واسعة النطاق " ، وباعث اجتماعي من كون " معناة أوربا من حياة فاشلة مليئة بالذل والهوان ولاسيما في انتشار النظام الاقطاعى " . قاسم عبده قاسم : الخلفية الأيدلوجية للحروب الصليبية ، ط١ ، دار عين للدراسات ، القاهرة ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، ص ١١ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ٢٥ : ٢٧ ، ص٣٧ ، ٣٩ .

٢) الحجر الصحي lazaretto : كلمة لازاريت " lazarette " هي كلمة لاتينية معناها (ladre) يعني الأبرص أو المجذوم . وكانت الدولة الرومانية تبالغ في الحجر علي المجذومين بل كانوا يضعونهم تحت الحجر طول حياتهم وكان عقاب من يخرج عن نطاقه منهم أن يضرب بالرصاص ، وهو قانون حق لولا أنه مبالغ في شدته . ويقول البعض بأن أصل تلك الكلمة " lazarette " أتي من الكلمة العربية (الازهرية) وذلك لان الأزهر بمصر انما هو ملجأ العميان والشيوخ المتقاعدين

المقابلة للطريق المؤدي إلي بلاد الشام . وفي مؤخرتهما يوجد فناء يحتوي علي حديقة صغيرة غير مزودة بالمياه ولهذا كانت تجلب من الوادي .

وهيئة هذه المنازل مثل بقية منازل العريش عمومًا لكن قليلًا منها علي النسق الأوربي بعض الشئ ، وفي هذا النطاق عاش مندوب الحكومة النحيل ، والذي سيطر علية نائبه ، وهو مثال جدير بالملاحظة علي خليط الأجناس التي انتشرت في هذه المدينة . حيث كان والده من دالماتيا [١] ، والذي تنسب عائلته إلي سيبنكو ، وهو نفسه كان قد ولد في مصر من أم نوبيه لذلك كان قمحي اللون . كما كان قد تلقي تعليمه في دالماتيا ، وكان مسيحي الديانة .

ولم تكن عملية الحجر الصحي تتم في ذلك المبني ولكن تتم في الخيام ، حيث تبقي الأخيرة منصوبة وجاهزة في مكان العمل كلما دعت الحاجة إليها . واصلنا السير في جنح الليل من منطقة الحجر الصحي بإتجاه البحر ، والتي يوجد فيما وراءها زراعات النخيل الجميلة التي تبعد عن العريش مسافة ليست أكثر من نصف ساعة من الركوب .

وقد أدي بنا الطريق أولًا إلي قبر النبي جاسر (ياسر) [٢] " انظر الصورة " وهو مكان هادئ للدفن مزروع بنباتات الطرفاء ذات اللون الأخضر الداكن والمتناغمة مع الرمال الصفراء تزاحمهم في المشهد خلفية الأرض والسماء . ويتوافر في هذا المشهد الراحة والأطمئنان ساعد في ذلك سكان الإمتداد الهائل للصحراء والبحر اللذان يتقابلان هنا وكأنهما يتنافسان معًا .

وعلي الجانب الآخر من القبة تناثرت أجزاء من البناء القديم ، وفي داخله فإن الباب الذي يحمل نقشًا عربيًا هو عبارة عن قبة مخروطية الشكل تعلو أربعة

، وهو كلام أساسه الجهل المطبق أو التحامل علي الأزهر . علي أية حال أقيم أول محجر صحي ١٤٠٣م في البندقية ، وفي عام ١٨٣٢م بني أول محجر صحي بالأسكندرية في الشاطبي . نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث ، ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ .

١) دالماتيا : منطقة على الساحل الشرقي من البحر الأدرياتيكي ، تقع معظمها في كرواتيا الحديثة (المترجم)

٢) قبة النبي جاسر (ياسر) : قبة قائمة علي تل مرتفع فوق شاطئ البحر في مكان يدعي اليزك . نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث ، ص١٦٥ .

أقواس [١] ، وإلي اليمين وعند الدخول يوجد ضريح النبي جاسر حيث يوجد فوقه غطاء من القماش الأخضر علي إطار من الخشب . وإلي اليسار من ذلك يوجد قبر أحد تابعيه .

وعلي الجانب الأخر في الرمال توجد العديد من المقابر ، والتي يستدل عليها من نباتات الصبر المزروعة حولها . وفي الكثير من الأماكن انتشرت قطع من عمود رخامي أو من الحجر ، ولكن لا يمكن البقاء هنا طويلًا ؛ فقد اختفت آثار الأقدام بفعل الرمال المتحركة . وعلي جانب تلك القبة توجد شجرة طرفاء عتيقة مورقة يطلق عليها الناس الأثل ، وتتميز بأوراقها الرقيقة ، ويوجد هنا العديد من الأمثلة علي ذلك وتعرف بإسم طرفا .

وبالمضي تجاه الشرق من قبر النبي جاسر ؛ وصلنا إلي الوادي الفسيح حيث قمنا بجلب المياه من التلال ، تلك الأخيرة ربما تقاطعت مع بعضها بالقرب من شاطئ البحر ، أو عند موضع ضحل علي مسافة ليست بعيدة . وعلي يسار الوادي توجد العديد من الحدائق الغناء إلي جانب أعداد هائلة من الآبار . أما أشجار النخيل الضخمة فتستقر علي يمين الوادي ، وتمتد نزولًا بالقرب من البحر . وعمومًا فإن تلك الأشجار كانت ذات أحجام صغيرة ولكنها ذات ارتفاع ضخم .

كان هذا المشهد محفزًا للخيال بقوة ، فقد كان من الصعب وصف الهدوء الرهيب المسيطر علي هذا المكان . كذلك فإن الصوت المنتظم للأمواج المتلاطمة كان متناغمًا مع همس النسيم العليل عبر النخيل ، وإلي جانب ذلك كانت طيور الحداة تطير في الهواء بلا هدف . كذلك فإن المنظر الخادع لظل النخيل عبر التيجان المورقة حيث يتخللها الضوء في شكل أمواج مرتعدة . كذلك اتحدت أوراق النبات بلونها الأخضر الداكن والفاتح في مقابل زرقة السماء المصرية لتظهر هذا التأثير فكان جلي أن نذكره .

١) جدد بناء هذه القبة عثمان فريد المار ذكره ونقش علي رخامةٍ فوق باب القبة هذه العبارة : " هذا مقام نبي الله ياسر صاحب الفضل والمآثر عليه السلام جدَّده عثمان بك فريد محافظ العريش سنة ١٣١٧هـ ١٨٩٩م " . نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث ، ص١٦٦ .

وهناك تنتشر مجموعات مختلفة من أشجار النخيل ، إلي جانب المروج الخضراء ، حيث كانت تروي عن طريق سبعة آبار ، وعندها يوجد أيضًا عشرة أكواخ متوسطة يقطنها العرب الرعاة . وتمتد تلك الأشجارلمسافة علي طول الوادي. ويوجد في الوادي بأكمله ثلاثون بئرًا من المياه العذبه من أجل تزويد حدائق الخضراوات بالمياه حيث يزرع البصل والطماطم والشمام. ويحتوي أيضًا علي أعداد هائلة من بساتين النخيل الصغير المزروعة حديثًا . وفي الحال وفيما وراء تلك المنطقة المروية تطل الصحراء القاحلة بوجهها من جديد .

٧- من العريش إلي الشيخ زويد .

أخيرًا غادرنا العريش بأهلها الودوديين ، وفي صباح ذلك اليوم جاء الحاكم ورفقائه ومعارفه لوداعنا ، ثم انطلقنا ناحية الشرق ، ومن بعيد قمنا بالتلويح لهؤلاء الأفراد بإشارات الوادع وهم أيضًا تفاعلوا مع ذلك في مودة . وقد وجه الحاكم لنا النصيحة بعدم التوقف في الطريق حتي نصل إلي منطقة الشيخ زويد (١) وذلك لكونه خبيرًا بالطريق بين العريش وذلك المكان لكون الأخير غير آمن للانتظار أو للتخييم ، ولهذا زودنا الحاكم بشخص يدعي رمضان وهو رجل قوي البنية بملامح لفحتها الشمس ؛ ليرافقنا ويحمينا في حالة إذا ما اعترض طريقنا أحد البدو الأشرار . كذلك كانت حامية القافلة قد امتطت الهجن ، وتسلحت بالسيوف الطويلة وبالأسلحة النارية العربية . هذا بدوره يبرهن علي الرفقة الكريمة النافعة .

وفي الحال غادرنا العريش وتقدمنا في السير علي طول الوادي ذو الطبيعة الطينية ، وعلي الضفة المقابلة منه عثرنا علي مكان للدفن خاص بالبدو يحتوي علي العديد من المقابر إلي جانب أعداد ضخمة من نباتات الصبر . بعدئذ وصلنا للجانب المقابل للوادي بهيئته المشابهة للمنحدر حيث كان ذو طبيعة طينية متآكلة ومتعرية بفعل المياه .

وهناك يستقر مركز للحامية يقطنه الجنود الذين طالبونا بشهادات صحية . وكنا قد أخبرناهم بأن كل شئ تم إعداده في العريش التي غادرناها بالفعل ، ولهذا سمحوا لنا بالمرور دون أية استفسارات أخري . وفيما وراء ذلك المركز يمتد الطريق عبر سهل صغير مكشوف ، ثم يرتفع الطريق لمسافةً فوق التلال الرملية ذات الطبيعة المتموجة . وهناك لاحظنا وجود بعض نباتات البروق ، وكذلك الأراضي المزروعة بالذرة هنا وهناك . وكلما تقدمنا صوب تلك النباتات وجدناها أكثف وأكثف ، و وعلي يسارنا فقط امتدت التلال الرملية المكشوفة.

وهناك رأينا العديد من البدو يعملون في الأرض حيث امتلكوا العديد من الحقول التي يقومون بزراعتها دون أية آلات سوي بالفئوس العادية وأحد الخيول أو

---

(١) منطقة الشيخ زويد : قرية عبارة عن مجموعة من المنازل في طريق العريش علي نحو ١٨ ميلًا من مدينة العريش ، وعشرة أميال من رفح ، ونحو ميلين من شاطئ البحر . وأهلها أخلاط من خان يونس والعريش جاؤوها فأسسوها علي أنقاض بلدة قديمة العهد . نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث ، ص١٧٢ .

" الجمال " . و هناك يزرع هؤلاء في عدة مناطق نوعًا رديئًا من العشب يدعي هافور [١] ، حيث يمثل مرعي ممتاز . وقد رأينا أعدادًا لا بأس بها من الماعز والأغنام تبدو في حالة جيدة .

وبعد أن تخطينا الأودية الخصبة الضخمة حيث وادي الجردي (الوادي الأرضي) ، وكذلك وادي الحروبة [٢] (وادي طعام القديس يوحنا ـ الخرنوب أو شجرة الخروب) ؛ ارتقينا أحد التلال ومنه استطعنا رؤية ذلك المنظر الممتد " انظر الصورة " . ومن هناك يمتد الطريق عبر وادي صغير مكسو بنباتات شيح ومنوسبيرما . وإلي اليمين توجد شجرة تعد شاهدة علي المعركة المرعبة والتي درات رحاها بين بدو الترابين [٣] من غزة وبدو الزوارقه [٤] من العريش منذ خمسة عشر عامًا [١] .

---

[١]) (هافور أو حافور لم نجد أية ذكر لهذا العشب بجميع المعاجم النباتية ولكن وجدنا بعض الأعشاب التتى تتشابة مع ذلك العشب من حيث المنطوق اللفظى ولكن لانعلم إن كانت تتشابه معه من حيث التركيب أو التعريف وهما نبات كافور ، ونبات حافر ، ونبات حفارة . أحمد عيسى بك : معجم أسماء النبات ، ط١ ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م ، ص ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٦٦ ، ٩٥ ، ١٢٩ ، ١٩٢ .

[٢]) (الحروبة : هى الخروبة وهى بين الزعقة ورفح حيث الشجرتان ؛ والأخيرة هى موضع الشجرة التي تعلق فيها العوام الخرق، وتقول هذه مفاتيح الرمل . وكانت الخروبة قديمًا تعرف بالعش - وقد بني بها خان سبيل ، وعملت ساقية يجري منها الماء إلى حوض تستسقي من المارة والحلال . العمرى : التعريف بالمصطلح الشريف ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

[٣]) بدو الترابين : يقال أصلهم أنهم من جد يقال له نجم جاء إلي سيناء مع رجل يدعي الوحيدي من ذرية الحسن أخي الحسين فنزلا ضيفين علي شيخ كبير من بني واصل في طور سيناء ، وكان نجم فارسًا مقدامًا قبيح المنظر أسمر الوجه ، وكان الترابين مشهورون بالبسالة وقبح الصورة .ويقال أن جد الترابين هو ابن الشيخ عطية المدفون في الوادي المنسوب إليه عند عين جذيع ، والترابين يزورون قبره كل سنه بعد الربيع ويذبحون له الذبائح ، ومن أشهر فروع بدو الترابين الأتي : الحرارة ، والشنوب ، والحسابلة ، والشبيتات . ومن أشهر مراكزهم الجورة ، والبرث ، والبواطي ، والمقضبة ، والعمر ، وأم قطف ، والروافعة ، وجبل المغارة ، والجفجافة ، وجبل الراحة . وفريقًا من بدو الترابين سكن شرق بلاد الطور ، ولكن معظم الترابين في بلاد غزة ومنهم طائفة في مديرية الجيزة بمصر . نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث ، ص١٠٠ .

[٤]) الزوارقة (الاسم الصحيح السواركة) : يلقبون بأولاد الظروة والظروة عندهم هي المرأة التي خالط الشيب سواد شعرها . ونسبتهم للظروة فقد قيل فيه أن رجلين من ذرية عكاشة الصحابي وهمت نصير ومنصور هاجرا من بلادهما ونزلا ضيفين علي رجل من عرب بلي في وادي الليف وكان نصير متزوجا من عرب قبيلته وأخوه منصور غازبا فرأي عند مضيفه بنتا ظروة فتزوجها وجاء الاخوان بامرأتيها إلي بلاد العريش فكان من نصير بدنة العردات . ومن منصور بدنات

وكلما تقدمنا كلما تحسنت طبيعة الأرض ، كما لاحظنا أيضًا وجود الكثير من الأماكن التي احتوت علي حقول زراعية . علاوة علي ذلك حاول البعض القيام بتهيئة الطريق وتحسينه من خلال إنشاء القنوات المائية علي جانبي الطريق . وما زلنا مستمرين في السير نقتفي أثر محطات البريد ، حتي وصلنا بعد مسافة إلي أرضٍ مرتفعة ، تمكنا من خلالها رؤية غالبية الوادي بصورة واضحة ، حيث كان مغطي بالشجيرات المذكوره أعلاه . وعلي مسافة من يمين الوادي تمكنا من رؤية مشهد النخيل وقبة الشيخ الزويد (زويد) علي طول حدود الصحراء المحيطة .

وعند أسفل التل المزروع وإلي حيث اليسار توجد ملّاحة مملوؤة بمياه الأمطار يتاخمها من الجانب الآخر بعض التلال الرملية ، وفي منتصفها ثلاث مجموعات من النخيل . وكانت انعزالية المشهد قد جعلت كامل المنظر ذا تأثير فائق عند ذلك الحد كان لزامُ علينا أن نعبر ذلك التل . وعلي الجانب الشرقي كانت الملّاحة ضحلة وتنتهي بأراضي المستنقعات المزروعة بنباتات السمار ، وفيما وراءها يمتد السهل إلي الصحراء .

انتعشت خيولنا بتذوق العشب الأخضر التي حرمت منه طويلًا ، ولهذا أسرعت الخيول بوحشية صوبه عبر هذه الملّاحة ، ونتيجة لذلك استغرقنا قرابة الساعة في إحكام السيطرة عليهم . وأخيرًا قمنا بتطويقهم فيما بيننا والمياه . وفوق رؤوسنا حلقت طيور الحداة فربما جذبتها بعض الجثث والجيف من مسافة ليست ببعيدة .

ومن الملّاحة وصلنا سريعًا إلي الشيخ زويد ، حيث وجدنا ما يجعلنا مسرورين فقد نصبت الخيام علي مرج أخضر زمردي . كما استقبلنا أحد الرجال المسئولين عن المراكز البريدية بكل ود وترحاب ، وكذلك العديد من البدو انجذبوا

القبيلة . وتعد قبيلة السواركة أكبر قبائل سيناء عددًا ومن فروعها : العردات ، والدهيمات ، والمحافيظ ، والفلافلة ، والخناصرة . نعوم شقير : المرجع نفسه ، ص١٢١ .

١) لم نجد أيه معارك في تلك الفترة وخصوصًا في عام ١٨٨٣ وذلك علي حسب ما أورده الرحالة ، ولكن بالبحث وجدنا أنه من أكثر المعارك المعروفة بين قبيلتي الترابين والزوارقة كانت عام ١٨٥٦م وعرفت باسم واقعة المكسر . نعوم شقير : المرجع نفسه ، ص ٥٨٣ : ٥٨٥ .

إلينـا سـواء دفعهم حـب الفضـول أو رغبـة فـي البقشـيش أو فـي أي شـئ آخـر ، وجـاء هؤلاء جميعًا وجلسوا حولنـا فـي مجموعـات . وبقينـا لفتـرة قصـيرة حتـي تمكنـت مـن رسم ذلك المشهد وتسجيله " انظر الصورة " ، وبعدها عدنا إلي الخيام تملأنا السعادة بعد فترة طويلة من امتطاء الخيول .

٨- من الشيخ زويد إلي خان يونس .

مع بزوغ الشمس ، ابتسمت المروج الخضراء بمراعيها العشبية التي أنعشت حيوانات القافلة وأعطتهم القوة . وبينما كانت عملية إعداد الأغراض تتم ؛ ذهبت لإلقاء نظرة الوادع علي منطقة الشيخ زويد ، وكان أول ما قمت به أن قصدت ذلك المنزل المبني من الطين والقش والمشابه لما عاينته في العريش من قبل حيث يقطنه أولئك الرجال المسئولين عن حفظ وحماية محطات البريد وكذلك رسائلها ، وملحق به فناء صغير تربي فيه بعض الطيور مثل الدجاج ، والديوك الرومي ، والحمام حتي البط .

وعلي مقربة من ذلك يوجد منزل آخر مشابه يتوافر به الزيت وكافة السلع التجارية الأخري المجلوبة من غزة بغرض بيعها وأن ينتفع منها سكان المنطقة من البدو الذين يعودون في نسبهم إلي بدو الزوارقه . وخلف تلك المنازل توجد أعداد من أشجار النخيل الهزيلة ، وكذلك مكانًا للدفن علي مسافة منها حيث يحتوي علي مقابر قليلة إلي جانب أعداد هائلة من نباتات الصبر المزروعة بينها .

وفي المنتصف تستقر قبة الشيخ زويد [١]، والمبنية من الحجر المربع مع نقش بالعربية يوجد علي بابها . وفي داخل القبة نفسها توجد مقبرة مغطاه بالقماش الأخضر والممتد فوق ذلك الإطار الخشبي . أما المياه فيتم جلبها من التلال الرملية الموجودة إلي ناحية الغرب فيما وراء تلك المنازل ، وبالرغم من أنها ليست مالحة إلا أنها تتمتع بمذاق طيب . وفي الجوار لاحظت البدو يذهبون إلي هناك مع حميرهم لسقايتهم في جرار غزة السوداء . وربما كان كل من الرجال والأطفال يسلكون ذلك الطريق باستمرار علي طول الدرب الرملي . والعديد من هؤلاء الأطفال كانت لهم

---

١) قبة الشيخ زويد : توجد علي شمال بلدة الشيخ زويد ، وهي جبانة يدّعي السواركة أنهُ من أجدادهم ولكن سائر القبائل تنكر عليهم هذه الدعوي ويقولون أنه من الصحابة . وعلي باب القبة حجر من الرخام عليه كتابة بالعربية هذه نصها " بسم الله الرحمن الرحيم أنشأ هذه القبة المباركة ان شاء الله تعالي أمير اللوا الأمير محمد بك باش الخزين الواقف عليه حضرة علي أحمد أغا وذلك في شهر صفر سنة ١٠٦٣هـ / ٥ يناير سنة ١٦٥٣م . وفي هذه الجبانة يوجد قبر زايد ومزيد وأربعة قبور أخري قديمة قيل إنها قبور اخوة الشيخ زويد . وللقبة شيخ يحافظ عليها وينيرها كل ليلة جمعة . و يزور القبة كل عام عابروا السبيل والسواركة وغيرهم من بدو الجزيرة بعد الحصاد فيقيمون الافراح ثلاثة أيام ويذبحون الذبائح ويولمون الولائم ويتسابقون علي الخيل والهجن . نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث ، ص ١٧٣ .

ملامح رقيقة وعيون لامعة ، ولكن ملامح الحزن والكآبة كانت خاصة بأطفال البدو . وفي أجزاء عدة من المدينة المحيطة بالشيخ زويد تناثرت أطلال وأكوام الحجارة .

وفي طريق العودة حيث الخيام ، وجدت أنه قد انتهت عملية حزمها ، وبعد أن صافحنا رجل البريد واصلنا الرحلة في الحال . فقد عبرنا أولًا المروج الخضراء المحفوفة جزئيًا بالأشجار ، وكذلك اجتزنا التلال الرملية ثم نزلنا إلي منحدر عشبي يدعي لزجه حيث قمنا بمعاينة ذلك السهل الممتد إلي جانب التلال الرملية التي تبدو في طبيعة خضراء ناصعة مثل الجزر في البحر " انظر الصورة " .

وإلي اليمين توجد اثنتان من أشجار السدر الضخمة تعرف بسجر الأمير (شجرة الأمير) أو مجرنت . ويوجد في ذلك السهل المتموج قليلًا العديد من أزهار النرجس البري ، والسوسن الزرقاء ، ويناوب تلك المروج الجميلة حقول الشعير ، حيث توجد أعداد هائلة من الطيور مثل اللقلق ، والبلابل الكبيرة ، وطيور السلوي التي يمكن رؤيتها باستمرار . ومن ارتفاع طفيف تمكنا من رؤية ذلك الطريق السهلي المنبسط أسفلنا . وعلي مسافة شاهدنا ثلاثة من خيام البدو ، وكذلك بعض الأبقار التي ترعي في تلك المروج الغنية . عقب ذلك اجتزنا الطريق المؤدي إلي عرفه والذي يبلغ ميلين ، حيث وجدنا المياه العذبة في وسط الرمال [١] .

وفي تلك المنطقة صادفنا أجزاء من أعمدة جرانيتية رمادية اللون مازالت قائمة في الطريق والحقول والرمال ، كما وجدنا بعضها مدفونا نصفها في الأرض . وعلي إحدي الجوانب توجد شجرة سدر " انظر الصورة " ، وتوجد شجرة أخري إلي اليمين في غور الوادي . وتلك الأعمدة [٢] هي أطلال وبقايا معبد رافيا القديم ،

---

١) لعل تلك المياه العذبة هي " بئر رفيح : هي بئر احتفرها الرميلات في وسط الكثبان المشار إليها علي نحو ميلين إلي الجنوب الغربي من بئر رفح . وقد دخلت في حد مصر ورممها محافظ سيناء سنة ١٩٠٧م . نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث ، ص ١٧٧ .

٢) هما عامودا الحدود والسدرة : فعلي نحو ٣٦٠ مترًا إلي الجنوب الغربي من بئر رفح سدرة كبيرة كان عن جانبيها عمودان من الجرانيت الأسمر عُرفا بعمودي الحدود طول كل منهما سبع أقدام ومحيطه نحو ثلاث أقدام الواحد إلي جهة الشام والآخر إلي جهة مصر . وقد كونا مع أصل السدرة مثلثًا متساوي الأضلاع طول كل ضلع منها نحو خمسة أمتار . ولما زار سمو الخديو الحالي رفح سنة ١٨٩٨م نقش تاريخ زيارته علي العمود الذي إلي جهة مصر . نعوم شقير : المرجع السابق ، ص١٧٧ ، ١٧٨ ؛ أحمد رمضان أحمد : شبه جزيرة سيناء ، ص ١٤٥ .

والذي كان ذا أهمية في عيون العرب ، والذين كانوا يطلقون عليه رفح [١] ، حيث يميزونه كحدًا فاصل بين مصر وبلاد الشام .

وبالقرب من تلك الأعمدة تناولنا وجبة الغداء حيث كنا داخل الأرض المقدسة . وبعد فترة قصيرة من الراحة واصلنا الرحلة تاركين الوادي الأخضر المنحدر علي يسارنا مجتازين تلك التلال الرملية إلي حيث الأراضي العشبية المتموجة قليلًا ، وإلي الخلف رأينا ناحية بنو سهيله [٢] والتي تستقر علي القمة المستوية للتل ، وبها ترعي أعداد هائلة من الأبقار ، وتحلق في الهواء أسراب طيور الحداة ، والتي كسرت من حدة تلك الطبيعة المملة .

فجأة تغير ذلك المشهد كلية ؛ فقد ولجنا أرض الميعاد حيث الأسوار الطينية ، والنباتات الشوكية ، والتين الشوكي ، والحقول المسيجة حيث أشجار اللوز ، والمشمش ، والتين ، والجميز ، والخروب ، والسدر تلك المناظر التي كانت تتباري لترسم السعادة في عيون الرحالة في تلك الصحراء القاحلة . ومررنا بالعديد من المنازل الصغيرة والمبنية من الطين ، والقش ، والأحجار ، ولكن بحلول الساعة الثالثة وصلنا إلي خان يونس [٣] حيث القلعة الرائعة والتي بدت وكأنها تدعونا

---

١) منزل في طريق مصر بعد الداروم ، بينه وبين عسقلان يومان ، وهو أول الرمل ، ومدينة رفح الحالية علي أنقاض مدنية رفح القديمة التي تبعد ٢٨ ميلًا عن مدينة العريش وخمسة أميال عن خان يونس ، و١٨ ميلًا عن غزة . وهي مدينة رافيا التي ذكرها المؤرخ يوسيفوس أنها أول محطة سورية استراح فيها تيتوس في طريقه لمحاصرة القدس . البغدادي : مراصد الاطلاع ، ج٢ ، ص٦٢٣ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٥٤ ، ٥٥ ؛ نعوم شقير : المرجع نفسه ، ص١٧٦ ؛ أحمد رمضان أحمد : المرجع نفسه .

٢) بنو سهيلة : عرفت بهذا الأسم نسبة إلي قبيلة بني سهيل العربية التي نزلت في تلك المنطقة ، وتلك القرية تقع ضمن قضاء غزة ، وتقع القرية في الشرق من خان يونس وعلي بعد لايزيد عن الثلاثة كيلومترات منها ، وأقيمت علي أكمة ترتفع ٧٥م عن سطح البحر . مصطفي مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج١ ، ق٢ ، دار الهدى ، كفر قرع ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، ص ١١ ، ٢٩٥ .

٣) خان يونس : هو خان سعيد شيده الأمير يونس النوروزي (أحد أمراء الملك الناصر محمد) خارج مدينة غزة ، وقد أقام ذلك الخان في عام ٧٨٩هـ / ١٣٨٧م . ومدينة خان يونس هي أول حكم بلاد مصر ولاسيما عام ١٦٩٣م ، وبها كانت تقيم جنود الغز والعسكر المصري ، ويرجح أن تكون قد بنيت علي أنقاض مدينة قديمة تعرف باسم (جنيسس Jenysuus) . النابلسي : الحقيقة والمجاز في الرحلة إلي بلاد الشام ومصر والحجاز ، تقديم وإعداد : أحمد عبد المجيد هريدي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص١٦٩ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : نظم الحكم والادارة في عصر الأيوبيين والمماليك . المرأة في الحضارة العربية ، المؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية ، مطبوع ضمن موسوعة الحضارة العربية الاسلامية

للاقتراب ، عندئذ قمنا بنصب الخيام في مواجهة تلك البلدة في ذلك الحقل المحاط بنباتات الصبار الشوكية .

في ذلك الوقت جاء حاكم المدينة شاكر أفندي (١) ، والذي كانت عائلته ماتزال تسكن الخليل (حبرون) (٢) ، والتي كان يسكنها هو سابقًا ، حيث أبدي ترحابه بنا وعاملنا بود حيث أمر ثلاثة من الفرسان ، وأربعة من الجنود المشاة بحراسة مخيمنا ، حيث كانوا يتنابون الحراسة كل ساعتان . ولاحظنا بين هؤلاء اثنين من الزنوج ، ولكن الغالبية العظمي كانوا نحيلي الجسد إلي جانب العرب قوي البنية ، وبعضًا من هؤلاء كانوا يتميزون بقدر ملحوظ من الوسامة .

بعدئذ قادنا الحاكم شخصيًا نحو القلعة ، ولكن قبل أن أصف ذلك ؛ يجب أن أعطي القارئ رواية عامة عن خان يونس .

، ط١ ، الموسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص ٣٧٠ ؛ مصطفي مراد الدباغ: بلادنا فلسطين ، ج١ ، ق٢ ، ص ١٣٥ ، ١٣٧ .

(١) لم نصل لأية معلومات عن ذلك الحاكم .

(٢) الخليل : مدينة تقع في تجاه الجنوب علي مسافة من البحر الميت ، وعلي مسافة أربعة أميال من القدس أي علي مسافة يوم واحد سيرًا . ويقال أن آدم عليه السلام أقام بها بعد خروجه من الجنة وبها دفن بعد وفاته ، وكانت تعرف تلك المدينة قديما باسم " قرية أربعة " أي " مدينة أربعة " لان أربعة من الأباء قد دفنوا فيها في كهف مزدوج هم آدم وإبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهما السلام ومعهم زوجاتهم حواء وسارة ورفقه وليا . وفي الخليل يوجد المكان الذي قتل فيه قابيل هابيل ، وفيه مكان تستخرج منه تربة حمراء تصدر إلي مصر بأغلي الأسعار .
Theoderich , Description Of The Holy Places p.55 ; Anonymous Pilgrim II (12 th century), Trans .by , Stewart ,Aubery , in.P.P.T.S., vol .VI, London ,1894, p. 11; Anonymous Pilgrim IV (Not earlier than 12 th century), Trans .by , Stewart ,Aubery , in.P.P.T.S., vol .VI, London ,1894, p. 20 ; Anonymous Pilgrim (Pseudo DeDo) , (12 th Century) , Trans .by , Stewart ,Aubery , in.P.P.T.S., vol .VI, London ,1894 , p.p 37, 60 ; Saewulf , Pilgrimage Of Saewulf To Jerusalem p.22 ؛ يعقوب القيتري : تاريخ بيت المقدس ، ترجمة وتعليق : سعيد البيشاوي ، ط١ ، دار الشروق ، عمان ،١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ص٧٥ ؛ يوحنا فورزبورغ : وصف الأرض المقدسة ، ترجمة وتعليق : سعيد عبد الله البيشاوي ، ط١ ، دار الشروق ، عمان ، الأردن ،١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، ص٩٧ .

٩- خان يونس .

تعد خان يونس من أبعد المناطق الشامية في إتجاه مصر ، ومن جهة أخري هي آخر محطة ومنطقة تحت السيادة المباشرة للباب العالي [1] مثل العريش الخاضعة لسلطة الخديو . وبين هاتين المدينتين يمتد طريق صحراوي تستقر به أعمدة منطقة رفح كإشارة للحد الفاصل المفترض بين المدينتين . وبالرغم من أن البدو يتجولون في تلك المنطقة القاحلة إلا أنهم قليلًا ما يهتمون بما يحدث سواء في العريش أو في بلاد الشام .

وكما في العريش فإن القلعة تمثل حصنًا لذلك المكان ، فهي تتوسط قلب المنطقة حيث تجتمع وتتشابك معها المباني الأخري حولها مثل العناقيد .

وخان يونس قرية ساحرة ، ولكن في الوقت الحالي لايتجاوز عدد سكانها ألف مواطن . وفيما مضي كانت أعدادهم ضخمة فقد وصلت إلي ألف وثمانمائة نسمة والسبب في ذلك أن أعدادهم كان تتناقص تدريجيًا نتيجة للغارات المستمرة لبدو الترابين الذين قاموا منذ ثلاث سنوات بإضرام النيران في محاصيل الفقراء المعدمين وكان كافة البدو الذين أزعجوا السكان من بدو الترابين . وقد امتلك هؤلاء خيولًا وبغالًا كانت في بعض منها حيوانات جيدة وقادرة علي الاحتمال . ومنذ أن زودت خان يونس بحامية قوية ، وكانت قادرة علي حمايتها فإن شئونها كانت قد تحسنت نتيجة لذلك . وتتألف تلك الحامية من خمسين جنديًا من المشاة وخمسين آخرين من

---

[1]) الباب العالي : كانت المسائل الكبري للدولة العثمانية تبحث في القصر السلطاني ، وفي ذات الوقت كان الصدر الأعظم يسكن منزلًا صغيرًا أو متوسطًا خارج القصر . ورأي السلطان محمد الرابع أن يخصص مبني شاسعًا فخمًا يقيم الصدر الأعظم وأسرته وخدمه وحرسه في أحد أجنحته ، وتخصص باقي الأجنحة لاجتماعات كبار موظفي الدولة يقومون فيها بتصريف مهامهم . وتم إنشاء هذا المبني في سنة ١٦٥٤م فكان مسكنا رسميًا للصدر الأعظم ، ومقرًا لديوان عام تبحث فيه مسائل الدولة باستثناء المسائل المالية التي كان لها مبني خاص يسمي (دفتر دار قابسيي) أي بوابة الدفتردار ، وكانت تضم جميع أقسام الإدارة المالية . وكان درويش محمد باشا الصدر الأعظم للسلطان محمد الرابع أول من سكن من العظام . وغدا اسم المبني (باشي قابيسي) أي بوابة الباشا ، و (باب عالي) أي بوابة عليا ، ثم اكتسب اسم الشهرة في التاريخ وهو الباب العالي La Porte Sublime ، ويري بعض المؤرخين أن إنشاء الباب العالي كان دليل علي أنه أصبح مركز الثقل السياسي في الدولة ، لأنه قبل إنشاء هذا الصرح كانت تبحث كل الشئون العامة للدولة في القصر السلطاني ، فغدا الباب العالي هو مناط السلطة والمرجع الأعلي في جميع شئون الدولة ، الداخلية والخارجية ، المدنية والعسكرية . عبد العزيز محمد الشناوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتري عليها ، ج١ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ، ص ٣٧١ ، ٣٧٢ .

الخيالة ، وجميعهما كانوا من أبناء تلك المنطقة الصحراوية ، وكانوا يبدون في صورة رائعة وهم معممون بالكوفية علي رؤوسم إلي جانب زيهم العربي المميز .

أما عن هيئتهم فكانوا رجالًا أقوياء البنية ، وسلوكهم مميز للغاية . وكذلك القرويين كانوا يرتدون نفس الزي المعتاد بجنوب بلاد الشام ، وأقوياء البنية مثلهم . كما لاحظنا بعض الصبية لديهم حلقتان متدليتان من جانبي رؤوسهم وذلك بطريقة غير المعهودة والمألوفة بين البدو . وبالمدينة توجد مدرستان لتعليم الصغار . وانطلاقًا من حقيقة مؤداها أن كل فرد يمكنه القراءة ، لذا توجب عليهم أن يرتادوا تلك المدارس .

أما عن هيئة المدينة من الداخل فتبدو فقيرة ، وشوارعها قذرة ومشوهة بأعداد هائلة من صهاريج تخرين مياه المطر . ومنازلها التي يحيطها النخيل المرتفع ؛ مبنية من الطين والحجر ، والأخير من النوع الردئ والمتكون من الصدف المتفتت ومن الكتل الطفلية المترسبة من ساحل البحر المجاور ، ويتم جلب أفضل تلك المواد من الأطلال المختلفة ، وأحيانًا من مناطق تبعد مسافة من عشرة إلي اثني عشرة ساعة .

أما عن منازلها فكانت ذات أسطح مستوية ، وذات مداخل عديدة مزودة بشبابيك خشبية معلق عليها قطعة من العظام حماية لهم من تأثير العين الشريرة . وكي تبقي أيضًا في مأمن من غارات البدو ؛ كما قام سكانها بتحصينها بعدد من الكُوَّات ، إلي جانب ذلك زودت المنازل بعدد من المزاغل المستديرة في صفوف منتظمة بديعة التصميم لتوفير التهوية . وكما قلت سابقًا إن الملمح الأساسي لخان يونس تمثل في القلعة " انظر الصورة " المحاذية لمكان أو ميدان فسيح ، وإلي اليسار منها نجد أطلال سياج قديم لاتزال ظاهرة .

علي الجانب الأخر من المدخل يوجد رواق مع بقايا لقاعدة عمود . وإلي اليسار من ذلك يوجد منزل متواضع للحاكم حيث كان يقطن هنا في هدوء مع أحد الخدم . وتلك القلعة التي يبلغ عمرها ثمانمائة وخمسون عامًا عبارة عن مربع مزود بالأبراج الدائرية ذات أقبية بيضاوية الشكل في زواياه ، إلي جانب ثلاث مزاغل في الحائط . أما البرجان الآخران في المقدمة فقد ظلا باقيين دونما تغيير ، في حين كان

الحائط الخلفي قد دمر ، أما الحائط الآخر والمحيط بالميدان تاخمته بعض المنازل البائسة نصفها مدمر ، وربما كان الجنود يستخدمونها كأماكن للسكن .

وفي منتصف الجانب الأمامي توجد بوابة مزودة بكُوَّات داخل قوس مستدق ، وفوق ذلك يوجد إفريز (نسيج صوفي) مكلل بأزهار الزنبق " السوسن " . وعلي جانبي البوابة وكذلك علي الحائط المقابل العريض توجد أسوار هرمية الشكل بأطراف مدببة . وداخل ذلك الممر المقنطر يوجد نقش للسلطان برغوت burgut [١] سلطان القاهرة . وعلي الجانب الآخر توجد حلية علي شكل أسد ، وكذلك نحت خشن في شكل بارز . وبالملاحظة نجد أن تلك النقوش العربية شغلت الحوائط سواء علي جوانب البوابة أو في مدخلها نفسه . ولم ينظر إلي ما تحتاجه لكي تبقي داخل صفوف حجرية .

وإلي ناحية اليمين من البوابة وداخل القلعة ترتقي مئذنة مسجد مثمنة الأضلاع تبدو في حلة جديدة وسط هذا الخراب ، وكذلك المنازل المتهدمة مثلها مثل بقية منازل القرية . ومن هنا يمكن ملاحظة أربعة طرق متفرعة من خان يونس وهي : طريق العريش ، والطريق المؤدي إلي طريق السويس العقبة [٢] ، وطريق بنو

---

[١]) السلطان برغوت هو السلطان برقوق : أصله جركسيا من طائفة يقال لها كسا ، وقع في العبودية عند شخص في مدينة قرم ، وأقام مدة عند شخص حمامي ، ثم اشتراه الخواجا عثمان التاجر وجلبه الي الديار المصرية ، فاشتراه منه الأمير الكبير يلبغا العمري الخاصكي في سنه ٧٦٤هـ فأعتقه ، وقد كان هذا الرجل في بداية الأمر أمير آخور ، ثم أتابك العساكر الاسلامية وتولي هذا الرجل حكم مصر في سنة ٧٩٢هـ ، وتوفي عمره ستين عاما ، وسمي برقوق لنتوء في عينيه كالبرقوق واسمه الأصلي ((التون بوغا = الطنبغا)) . وللمزيد انظر : العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (٧٨٤ – ٨٠١ هـ / ١٣٨٢ – ١٣٩٨م) ، تحقيق : إيمان عمر شكري ، ضمن كتاب السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة ، سلسلة صفحات من تاريخ مصر ، عدد ٥٥ ، ط١ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ص ٤٩٤ ، ٤٩٥ . مصطفي مراد الدباغ: بلادنا فلسطين ، ج١ ، ق٢ ، ص ١٣٦ ، هـ ٢ .

[٢]) العقبة : مدينة حديثة تقوم علي أنقاض مدينة أيلة التي كانت من مدن الآدوميين الرئيسية ولعلهم أول من اتخذها ميناء . وفي القرن السادس عشر الميلادي كانت تعرف باسم عقبة أيلة وهذا الاسم عرف به الجبل ذو العقبة الشهيرة التي تقع في غربها ثم أهل اسم أيلة وبقيت المدينة تسمي العقبة وأما عقبة الجبل نفسها فقد دعيت بنقب العقبة .وكانت العقبة ملتقي الحجاج المصريين والمغاربة وحجاج جنوبي فلسطين ، وفي الحولية الرسمية العائدة لسنة ١٣٢٣هـ الموافقة لسنة ١٩٠٤م ذكرت العقبة بأنها قضاء يتبع متصرفية المدينة المنورة . أما العقبة اليوم فتقع علي خط عرض ٣١ : ٢٩ شمالي خط الاستواء وعلي خط طول ٣٥ شرقي جرينتش وهي علي فم وادي العربه العظيم وعلي رأس الخليج المسمي باسمها . وتبعد ميلين للشرق من الحدود الفلسطينية وعلي مسافة كيلومترين

سهيلة ، وفي الأخير طريق غزة . وعند مداخل تلك الطرق توجد مجموعة من منازل القرية .

وعندما جالت أعيننا في الأفق شاهدنا التلال الرملية الصفراء والمحاطة بالزروع تجاه البحر علي خلاف الأشجار الخضراء الواضحة ، وعلي الجانب الأخر يمتد ذلك السهل الأخضر تجاه غزة ، والتي ربما يمكن رؤيتها علي مسافة . وتحيط بالقرية من جانب غزة أعداد هائلة من شجيرات التين الشوكي ، والتي كانت من الملامح المميزة لهذه الطبيعة .

والأن هبطنا لنكمل معاينة تلك القلعة . ففي الداخل يوجد مسجد بقبة بيضاوية الشكل أغلبها متهدم ، ولكن الاعتقاد الأصوب أن المنبر الرخامي البسيط كان مازال بحالة جيدة . ووسط هذا الخراب كانت هناك أشياء تستحق الذكر ؛ فقد كان هناك منزل في حالة أكثر سوءً ، وهو جزء من ذلك المسجد ولكنه سقط منذ فترة قصيرة مضت . وعلي الرغم من ذلك فإن الناس غافلون تمامًا عن أن يقطنوا ذلك المكان .

ماهي إلا خطوات تفصلنا عن النخلة العالية والتي سقط طلحها جراء عاصفة عنيفة . ومن العجيب أن نرى أن أعمال الإنسان والطبيعة قد تلاقيا معًا ليحدثا هذا الخراب المنتشر ، ولم يفكر السكان في قيمة ذلك المكان ، فلم يقوموا أو يبادرو علي الأقل بإصلاح ماتلف منه ، أو القيام بمحاولة بسيطة لحماية أنفسهم من ذلك الخطر المحدق بهم . وقد كان ذلك طبيعيًا فالخمول وعدم الاكتراث كان في مقدمة الصفات المميزة للشعوب الشرقية ، ودليل مؤكد علي الاضمحلال التدريجي لعقيدتهم وجنسهم [١] .

من حدود المملكة العربية السعودية . مصطفي مراد الدباغ: بلادنا فلسطين ، ج١ ، ق٢ ، ص ٤٩٢ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠١ .

[١]) هناك من فسر طبيعة الخمول وعدم الاكتراث عند الشعوب الشرقية بأنها نتيجة لتغير المناخ و خصوبة التربة . أما أنها دليل على الاضمحلال التدريجى للعقيدة والجنس فيمكن تفسير ذلك بأن المؤرخين والرحالة الأوربيون جاءوا من بلادهم حاملين لفكرة عنصرية تجاه ديانات وأجناس الشعوب الشرقية وتلك الفكرة مؤداها التفوق الدينى والعرقى للأوربيين على ماعداهم . ومعنى أن يذكر لودفيغ عبارة " دليل مؤكد على الاضمحلال التدريجى لعقيدتهم وجنسهم " فإنها انطلاقا من الفكرة السابقة تعبر عن رغبته في حدوث ذلك (المترجم) .

وفي القرية المقابلة للقلعة يوجد بها مسجد آخر ولكن بدون مئذنة ، ولكن من هيئته الخارجية بالكاد يمكن التعرف عليه كجامع .وبالقرب من أحد الأبراج الخارجية المتهدمة المحيطة بالقلعة ، وعند زاوية أحد المنازل في الطريق إلي غزة تستقر بعض قواعد الأعمدة والتي استخدمت كمقاعد للعمدة وشيخ البلد . ويتألف سوق أو بزار خان يونس من اثنين من الشوارع تمتد خلالها المحال التركية الرثه إلي جانب بعض المصاطب من الطين والصلصال والتي استخدمت كمقاعد للجلوس . وأبوابها عبارة عن جناحين ولكنهم ليست مغلقة بشكل كامل . أما أسطحها فكانت مصنوعة من شجيرات الشيح .

أما بالنسبة لمعروضات تلك المحال من البضائع ؛ فغالبيتها وارد من غزة ، ويافا ، ولكن الطواقي المصنوعة من شعر الإبل أو من القطن وبالمثل العباءات الشامية السوداء والبيضاء فإنها كانت تحاك بأيدي أهل القري أنفسهم . وعند طرف القرية وبالقرب من السوق وعلي الطريق المؤدي للعريش يوجد بئر ثاني عمومي علي عمق ١٨ باع [١] ، وهو مبني بالكامل من البقايا الرخامية القديمة .

وعلي الجانب يوجد صهريج وأحواض للماشية مبنية من نفس المواد ، وهي تنسب إلي فترات أكثر حداثة مقارنة بالموجود . علاوة علي ذلك يوجد بالخلف غور " تجويف " بسيط مع مياه راكدة ، إضافة إلي أعداد قليلة من أشجار النخيل . وفي طريق العقبة والسويس يوجد منطقة للدفن حيث توجد مقابر بيضاء علي هيئة الدرج ، وفي الطرف المقابل للقرية وحيث يتسع الطريق إلي المدينة المحيطة أتينا إلي أحد الغور مع سدوده ثم سلكنا بعدئذ الطريق المؤدي إلي بني سهيلة .

وإلي جوار بني سهيلة توجد العديد من الحدائق التي تعد دليلًا صارخًا علي خصوبة التربة هناك ، ومع ذلك ولسوء الحظ ليس هناك أي وجود لأي آبار مياه بينها . ويعد اللوز من المنتجات الرئيسية لهذة الحدائق ، في حين كانت الأرض

١) باع : يدعوه العرب بالقامة ، ويساوي من حيث الأساس ٤ أذرع شرعية (الذراع الشرعية كانت ذراع اليد المصرية وكان طولها ٤٩.٨٧٥سم) ، أي ١٩٩.٥سم أو حوالي ٢ متر ، فيبلغ بذلك جزء من ألف جزء في الميل ، وفي مصر يساوي الباع ٤ أذرع نجّاريّة = ٣ متر . فالتر هنتس : المكاييل والأوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمه عن الالمانية : كامل العسلي ، مراجعة : عبد العزيز الدوري ، منشورات الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ، ص٨٢ ، ٨٧ .

المرتفعة المحيطة بها مغطاه بأفرع نباتات السدر الشوكية . وبالقرب من المدينة لاحظنا وجود العديد من أشجار السدر ، وبالمثل أشجار الطرفاء " الأثل "، والجميز. وكانت من أكثر الأنواع النباتية المنتشرة هناك ؛ نباتات الصبار الشوكية ، والتي كانت تنمو في المناطق الخصبة حول بعض الحدائق .

وبالنسبة لسكان خان يونس فلم تعتمد معيشتهم علي زراعة الأرض ، ولكنها كانت مرتبطة بتربية الماشية ؛ فقد لاحظنا أعدادًا هائلة من الأبقار في الجوار . كذلك وجدت الجمال أيضًا بأعداد قليلة إلي جانب أعداد هائلة من الخيول . كما لاحظت أربعة من كلاب الصيد المعروفة بالسلوقي (١) من السلالة الشامية . وكما هو معروف أنه ينسب إلي ريتشارد قلب الأسد (٢) إدخال مثل هذه الكلاب إلي الأرض المقدسة (٣) ، والتي كانت تسير إلي جانب الكلاب الضآلة والتي لم تكن نقية الدماء " السلالة " ، حيث كانت ذات لاشيات بيضاء وصفراء ، وشعور خشنة ، وخطوط زرقاء ، ومزينة بشئ يشبه الصدف علي أفخاذها . وكانت تلك الكلاب يتم استخدامها

---

١) السلوقى : هى كلاب للصيد ، وهذا الأسم يشير إلى الأمجاد الغابرة لسلوقيا أو الأمبراطورية اليونانية في بلاد الشام ، وفي سلوق ، وفي اليمن ، وهى تلك الأراضى الغنية بالأسرار والقصص ، ومن تلك المناطق نشأ هذا الأسم . ومن الصعب بمكان تحديد الموطن الأصلى للسلوقى فتظهر تلك الكلاب في الآثار المصرية القديمة ، كذلك كانت موجودة في بلاد فارس وتعرف كـــ " ساجى تازى sag-I Tazi " أى الكلب العربى ، ويقال أن تلك الكلاب جاءت لفارس من بلاد الشام . وهناك أنواع مختلفة من كلاب السلوقى ، وكل نوع منها يعرف بإسم المناطق الموجودة بها منها السلوقى الشامى والذى يتميز بوجود شعر حرير على ذنه ، وشعر طويل خفيف على ذيله . وهناك السلوقى اليمنى والعمانى وهو ليس لديه الكثير من الشعر على أذنه أو ذيله . وهناك السلوقى النجدى الذى لديه شعر أقصر من الأنواع السابقة . Leighton , Robert , The Nw Book Of The Dogs , Cassell Company Limited , 1907 , p.p.474 , 475 .

٢) ريتشارد قلب الأسد : هو ريتشارد بلانتجينت ، حكم من عام ١١٨٩م وحتي عام ١١٩٩م كريتشارد الأول ملك انجلترا ، وعرف بلقب قلب الاسد . ولد ريتشارد في ٨ سبتمبر عام ١١٥٧م في اكسفورد ، وهو الابن الثاني لهنري الثاني ملك انجلترا ، وزوجته هي اليانور اكويتين . للمزيد انظر Philip Henderson , Richard Coeur de lion , New York , 1959 , p. 28 .

٣) أخطئ المؤلف في تلك النقطة وذلك لأن الصليبيين نقلوا تلك الكلاب إلى أوربا في فترة الحروب الصليبية وخاصة في القرن الثانى عشر الميلادى . وكانوا قد نقلوها كدليل على رحلة الحج التي قاموا بها . والبعض منهم كانوا يقتنوها لأنها كانت موضة منتشرة في بلاد الشام . ويقال أن تلك الكلاب في تلك الفترة كان يتم اعطاؤها للوجهاء الأوربيين كهدايا وبالتالى وجدت طريقها إلى أوربا ، وهذا يثبت أنها سابقة في بلاد الشام على مجئ ريتشارد . كذلك فإن تلك الكلاب كانت قد ظهرت في لوحة الدوق هنرى التقى دوق سكونى يرتدى طوق مزين بإكليل من الصدف كإشارة على المسافر أو الحاج . Ibid , p.478 ; Hale , Rachael , Dogs , 101 Adorable Breads , Andrws Mcheel Publishing , p.30 .

في اصطياد الغزلان وهي صغيرة العمر . وقد عرضت علينا واحدة من تلك الغزلان مقابل ستة شالينات Shillings [١] ، وكانت أليفة جدًا ؛ حيث قمنا بحملها لمسافة ، ولكنها ماتت منا خلال الطريق ، وكما قلت أنها ربما ماتت عندما أطعمناها الخبز ، وما يؤكد ذلك كلام أن أبو نبوت نفسه أخبرنا من قبل أن هذا الخبز غير صحي لمثل هذه الحيوانات . ولكن ربما كان من أكثر الأحتمالات لموتها هو أنها وضعت في سلة فوق ظهر الجمل .

و بخان يونس يوجد قليل من الكلاب الضالة ، وإلي الجوار من ذلك كانت هناك أعداد من طيور الحداة ، والصقور ، والغربان ، والتي استقرت بالمئات فوق أشجار السدر ، والجميز ، وربما يمكن ملاحظة بعضها تحلق أعلي القرية فلربما تبحث عن فريسة أو بعض الجيفه .

---

١) شالينات : هى وحدة عملة مستخدمة في المملكة المتحدة سابقًا ، والكلمة مأخوذة من كلمة scilling وهو مصطلح حسبى يعود تاريخه إلى الفترات الأنجلوسكسونية حيث اعتبروها قيمة للشاه أو للبقرة . وهناك من يرجع تلك العملة إلى أصول توتانية . وفي عهد الملك هنرى السابع كان الشلن يساوى قيمة ١٢ بنس . " المترجم "

١٠- من خان يونس إلي غزة .

يمتد الطريق بين خان يونس وغزة لمسافة طويلة عبر مجموعة من حدائق شجيرات الصبار من نوع Opuntia ، وبعض الجسور المغطاه بالشجيرات الشوكية . وإلي ناحية اليسار تمتد الحدائق حتي الرمال ، وإلي ناحية اليمين وعلي مقربة من بني سهيلة تستقر قرية علي ذلك التل الممتد ، ويبلغ عدد سكانها خمسمائة فرد . وفيما وراءها توجد قرية أخري تعرف بعبسان [١]، وكذلك العديد من الأراضي المزروعة في الجوار .

وعلي طول نطاق التلال المتسقة ، وحيث تستقر بنو سهيلة التي ترتبط بالوادي علي الجانب البري ؛ يوجد قبر الشيخ محمد [٢] عند طرف إحدي الأشجار القديمة ، وإلي جواره يوجد منزل صغير يستخدم كقبه ، وإلي اليمين منه توجد خيام البدو ، بأعداد هائلة هنا ، فهم وحدهم الملاك لهذه المروج الغنية .

وبعد مسافة من السير عبر الرمال ؛ وصلنا إلي إحدي محطات البريد ، ثم تجاوزناها عبر المروج الخضراء حتي وصلنا إلي الرمال الجافة لإحدي الأنهار والمعروفة بوادي سيلجا والمحاطة من اليسار بالمنحدرات الأرضية وبالمروج الخضراء من ناحية اليمين . وعقب سقوط الأمطار الغزيرة يمتد مجري النهر من الجبال إلي البحر .

وعلي اليسار وعلي مسافة نصف ساعة من الركوب من الطريق الرئيسي ؛ توجد قرية دير البلح (والمحاطه بنخيل البلح) [٣] ، وهي القرية الوحيدة التي

---

[١]) عبسان : قرية يعود اسمها إلي بني عبس بطن من قبيلة لخم التي سكنت هذه الديار في صدر الاسلام وقبله . وقيل لها (عبسان) لانها كانت تضم قريتين ، وهذه القرية تقع في الشرق من بني سهيلة ، وعلي بعد ثلاثة كيلومترات منها وترتفع ٧٥مترًا عن سطح البحر وهي قسمان : عبسان الصغيرة ، وعبسان الكبيرة . مصطفي مراد الدباغ: بلادنا فلسطين ، ج١ ، ق٢ ، ص١١ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

[٢]) قبر الشيخ محمد : لعله هو قبر الشيخ محمد المغربي حيث يقع في حي الدرج وهو مسجد قديم في حارة الدرج ، أنشئ في القرن التاسع وأقام فيه الولي الصالح الشيخ محمد المغربي واتخذه كزاوية له فاشتهر به ولما توفي دفن بمغارة كبيرة تحت إيوان وبني بساحته قبر إشارة له ومكتوب عليه تاريخ وفاته سنة ٨٦٤هـ، وكان سقفه من جريد النخل ويعرف بمسجد السواد وتجدد في القرن الثالث عشر (المترجم) .

[٣]) دير البلح : هي الداروم قديمًا وهي بليدة بين غزة وخان يونس ، وتقع علي شاطي البحر ، والواقف بها يري البحر إلا أن بينها وبين البحر مقدار فرسخ ، وسميت بدير البلح لكثرة نخيلها ،

تفصلنا عن غزة ، وهي تقع في وادي علي ملّاحة ؛ حيث يفصلها عن البحر سهل منخفض ، وكان كم أشجار النخيل كفيل بأن نتعرف عليها من بعيد ، فقد كان حقًا منظر جدير بالتصوير . ويبلغ تعداد سكانها مائة فرد ، وهي مكونة من قليل من المنازل المتهدمة بأسطح طينية مغطاة بالعشب . وبين تلك المباني توجد أراضي مزروعة يحيطها سياج من الطوب اللبن .

هنا وهناك تنتشر بقايا الأعمدة القديمة ، ويوجد برج متهدم بمستدق صاعد مزود بمزاغل ... وبالمناسبة كان الجنود يسكنونه من قبل . وإلي شمال تلك القرية توجد ملّاحة أخري محاطة بمجموعات رائعة من النخيل ، ومحاطة بالتلال الرملية من ناحية الساحل . ولم يكن ذلك ببعيد عن الطريق المباشر المؤدي إلي غزة من دير البلح . ولكن أرادنا مواصلة الطريق الرئيسي ومن ثم عبرنا التلال فيما وراء دير البلح والمغطاه بالمروج الخضراء ، حيث وجدنا العديد من أزهار النرجس ونباتات الأشقيل. ومن قمتها بدت لنا روعة هذا المشهد ؛ حيث مروج الوادي المنمقة ، وحيث العديد من الأبقار من سلالات جنوب بلاد الشام التي ترعي هنا ، كما لاحظنا شجرة سدر عتيقة تدي جيميتر ، وبالقرب منها توجد بعد الأطلال . وعلي الجانب الأخر حيث تفصلنا التلال الرملية عن تلك المروج الخضراء توجد مجموعة من الأشجار تعرف بإسم أم مهران Em Maharnes .

واصلنا السير مرة أخري عبر ذلك السهل حيث صادفتنا أعدادًا هائلةً من خيام بدو الترابين إلي جانب قطعان عديدة من الماشية . وهنا مكثنا وقتًا قصيرًا قمنا خلاله بتناول الإفطار علي المروج الخضراء في ذلك المكان الطلق ، ثم انطلقنا مرة أخري تملأنا الرغبة والشوق في الوصول إلي غزة . وسريعًا وحال وصولنا ذلك الدرب الرملي الجاف لوداي غزة ، تسلقنا بعض التلال المنخفضة المستقرة خلفه ؛ وتمكنا من بعد من رؤية مآذن ونخيل غزة . فقد كان مشهد مفرحًا لنا في أخر خطوات من عمر تلك الرحلة .

وقد يقال في اسمها " الدارون " وينسب إليها . ياقوت الحموي : معجم البلدان : ج٢ ، ص٤٢٤ ، ٤٣٢ ؛ البغدادي : مراصد الاطلاع ، ج٢ ، ص٥٠٨ ؛ عاتق بن غيث البلادي : معجم المعالم الجغرافية ، ص ١٢٥ ؛ محمد بن محمد حسن شراب : المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ، ط١ ، دار القلم ، دمشق ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، ص ١١٥ .

تقع المدينة علي اليمين حيث يوجد تل المنطار [١] نسبة إلي اسم الشيخ المدفون هناك ، وهو من الملامح الرئيسية لهذه الطبيعة . ثم تحولنا إلي جهة اليسار حيث الطريق السابق ذكرة والمؤدي من دير البلح لغزة فواصلنا السير عبره علي طول محطات البريد . بعد ذلك مررنا عبر الحقول والحدائق المسيجة بنباتات الصبار الشوكية ، والمزروعة بنباتات اللوز ، والتين ، والزيتون ، والجميز ، وقليل من أشجار الطرفاء ، حتي وصلنا أخيرًا إلي مبني الحجر الصحي لغزة وذلك بحلول الساعة الثانية والنصف .

هنا... كنا مضطرين لترك الجمالة تملأنا مشاعر الأسف ، عندئذ أمسكت بيد الشيخ دواد المخلص الذي رافقنا طيلة تلك الرحلة من القنطرة . وهنا أيضًا تخلصنا من كافة الأمتعة الغير ضرورية ؛ حيث كنا في الأرض المقدسة ؛ أرض الوفرة والثروة . وبعد أيام قلائل من الراحة في غزة انطلقنا من جديد بخيولنا وبغالنا لنقوم بالحج إلي القدس للمرة الثالثة .

١) تل المنطار : يقع شرق حي الشجاعية ، ويشرف الموقع على مدينة غزة من جهتها الجنوبية الشرقية ويوجد في الموقع آثار وتكوينات معمارية قديمة، يقع على هذا التل مزار الشيخ علي المنطار، وعلى الأرجح أن هذا الاسم "المنطار" مشتق من عملية النطرة التي كان يقوم بها المجاهدين الذين يرقبون الطريق تحسباً لقدوم الغزاة (المترجم) .

النهاية

الملاحـــــق .

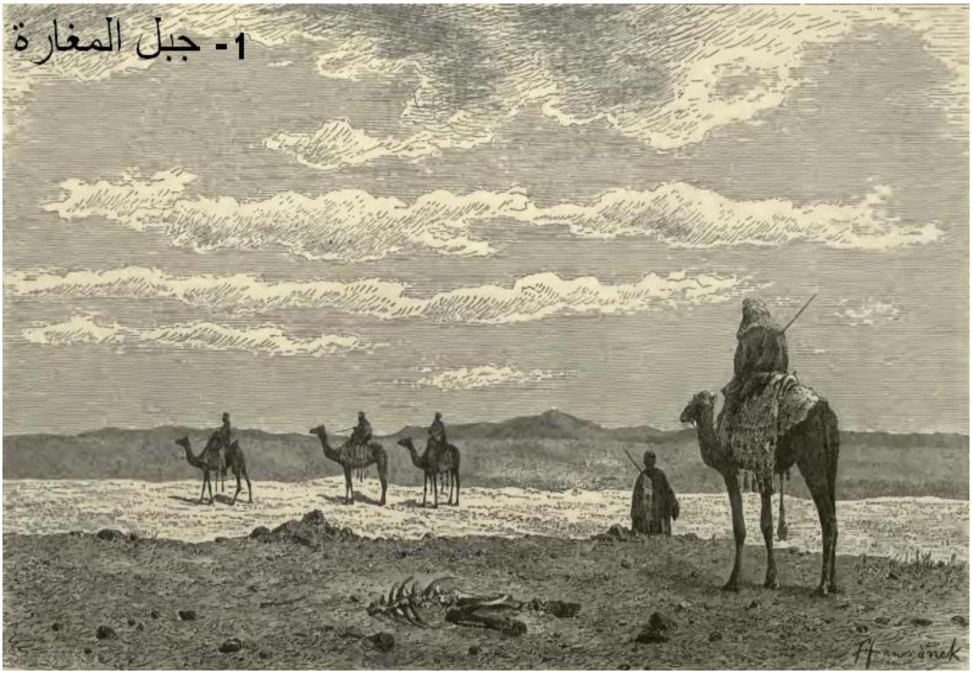
ملحــق (١)

رحلات الأرشيدوق لودفيغ سلفاتور

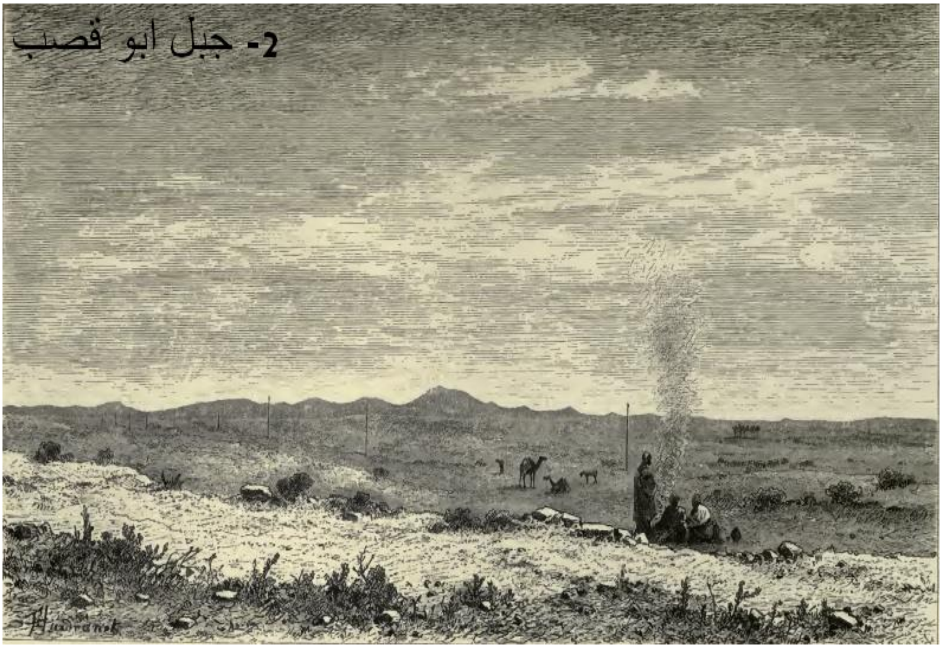


ملحــق (٢)

رســـــــوم الأرشيدوق لودفيغ سلفاتور



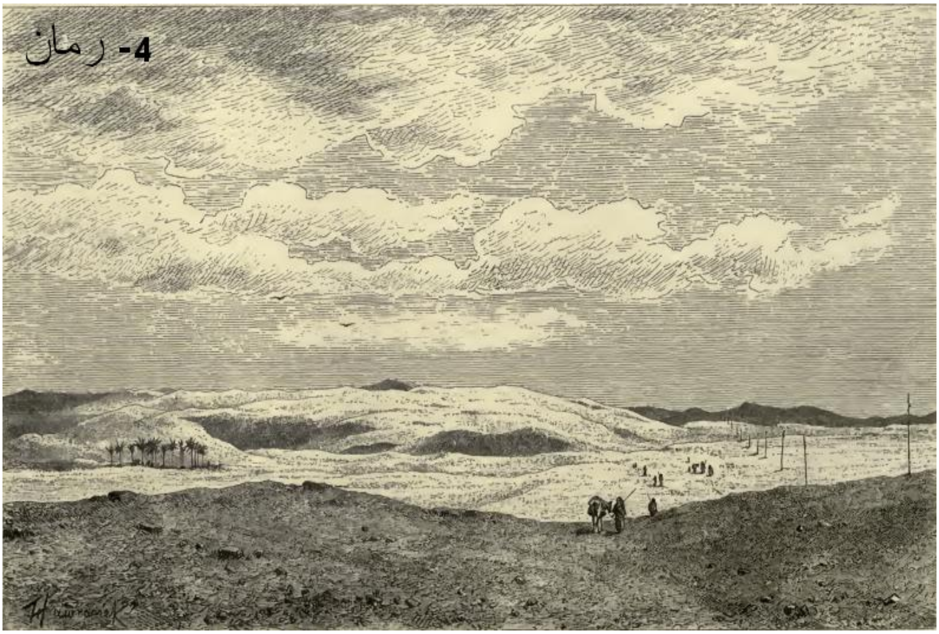
1- جبل المغارة



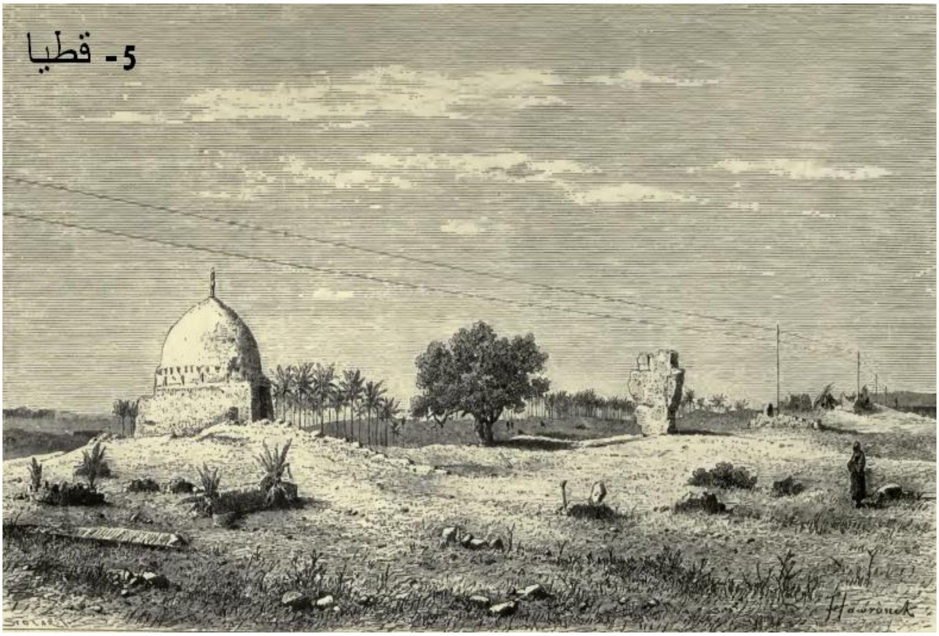
2- جبل ابو قصب



3- العوجه



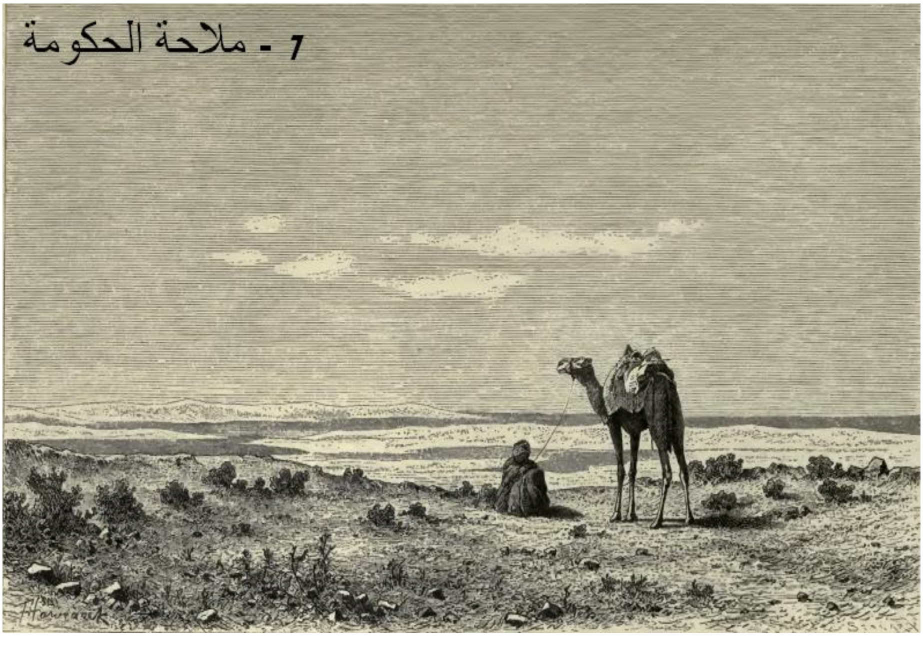
4- رمان



5- قطيا



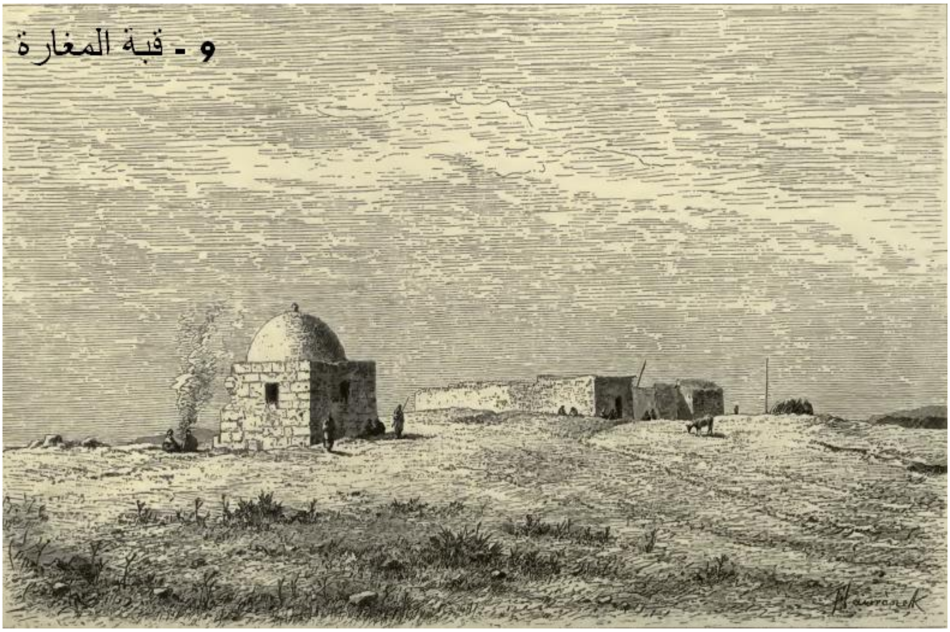
6 - الشيخ المزين فى قطيا



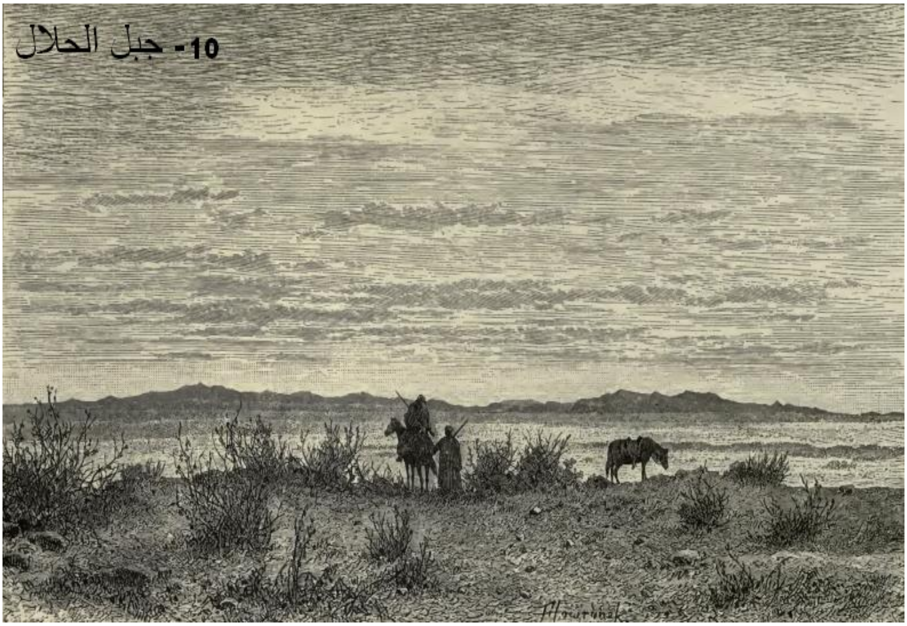
7 - ملاحة الحكومة

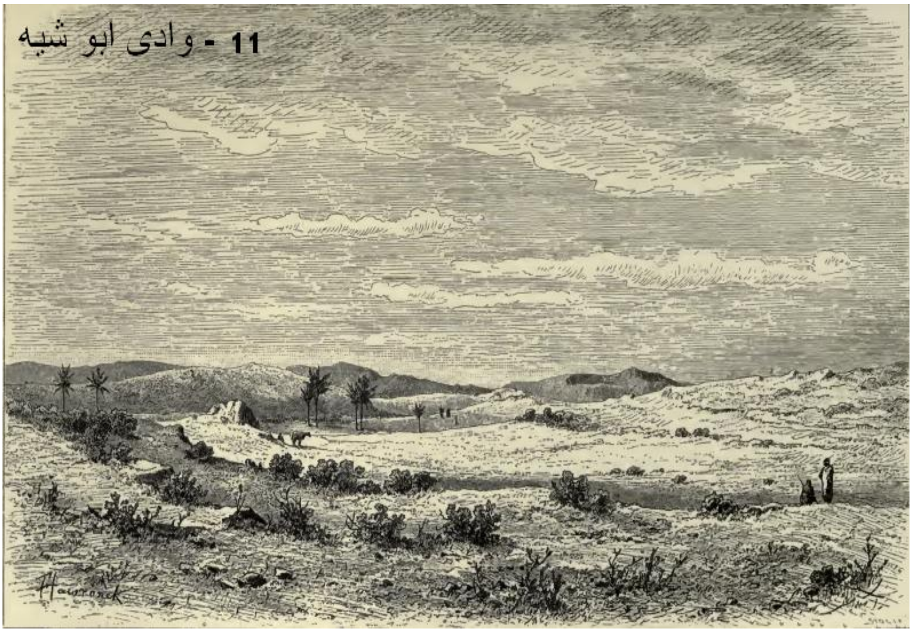


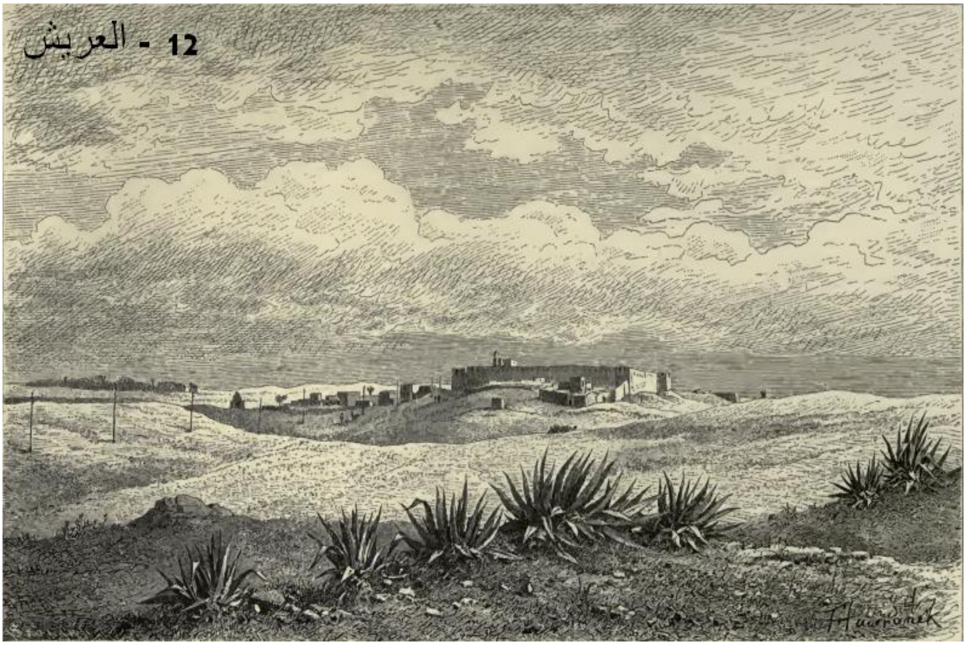
8- جبل المغارة (صورة من البرج)



9 ـ قبة المغارة


10- جبل الحلال


11 - وادى ابو شبه



12 - العريش



13 - سوق العريش



14 - العريش (منظر من الجانب الشمالى)



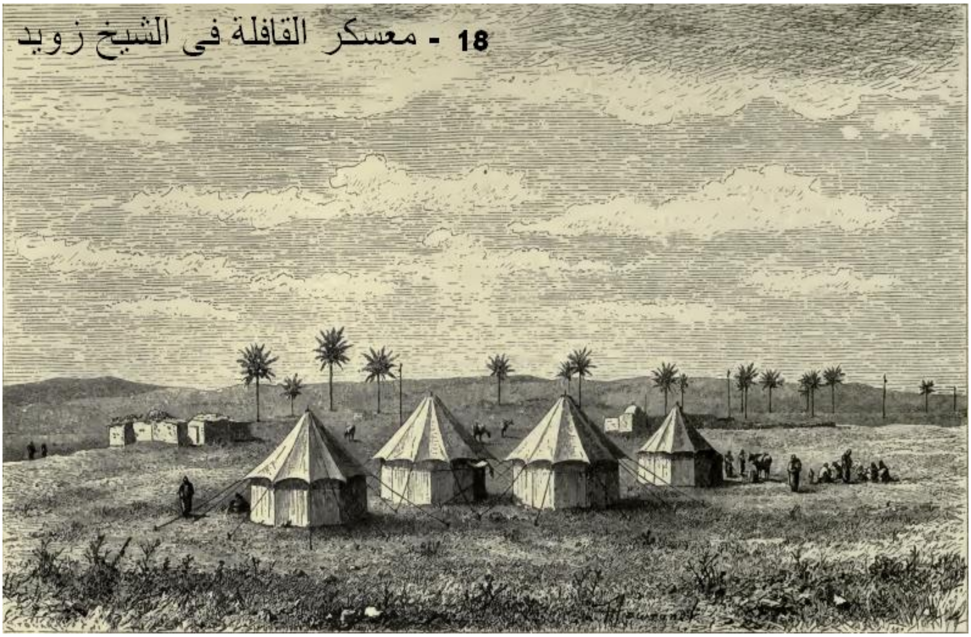
15 - قبر النبى ياسر



16- الخروبة



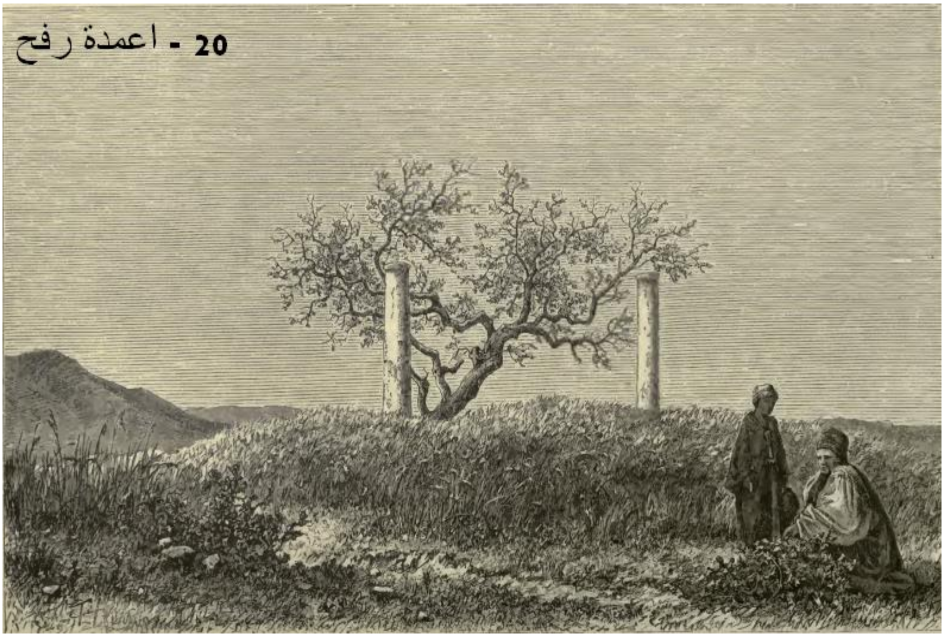
17 - ملاحة الشيخ زويد



18 - معسكر القافلة فى الشيخ زويد



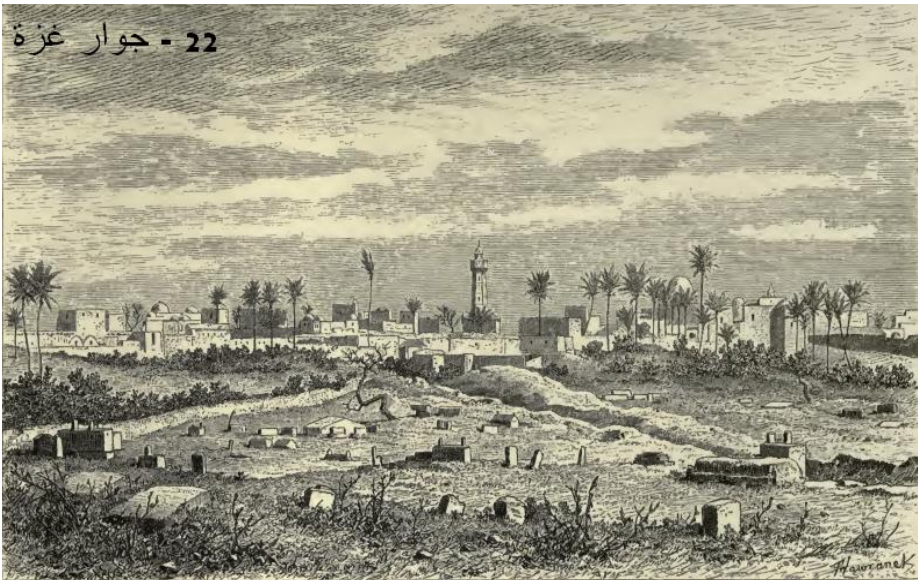
19 - سجر الامير



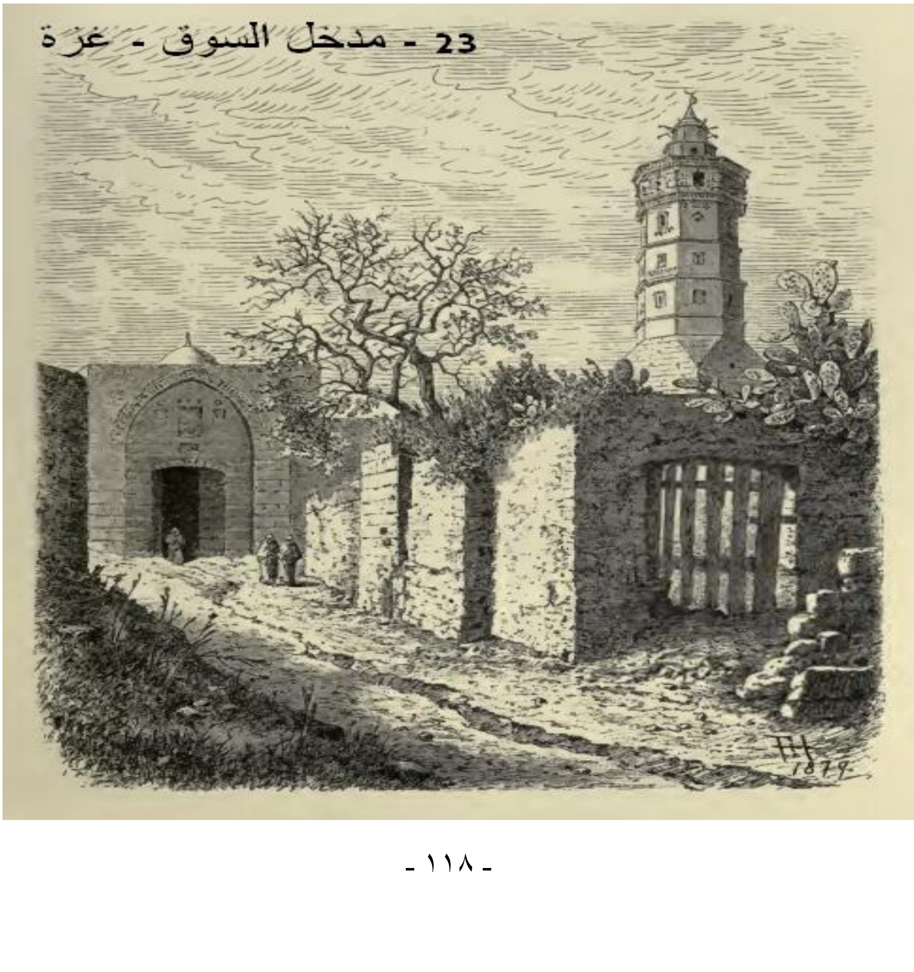
20 - اعمدة رفح



21 - قلعة خان يونس



22 - جوار غزة



23 - مدخل السوق - غزة

قائمةالمصادروالمراجع

أولًا : المصادر العربية .

١. ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج٣ ، تحقيق باول كالـه ومحمد مصطفي ، سلسلة النشريات الاسلامية ، جمعية المستشرقين الالمانية ، مطبعة الدولة ، استانبول ،١٣٥٤هـ / ١٩٣٦م .

٢. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تقديم وتعليق : محمد حسين شمس الدين ، ج٧ ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

٣. ابن سيده المرسي : المحكم والمحيط المعظم ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، ج٣ ، ج ٦ ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

٤. ابن قيم الجوزية : الطب النبوي ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م .

٥. ابـن منظـور : لسـان العـرب ، ج١ ، ج٥ ، ط٣ ، دار صـادر ، بيـروت ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

٦. أبو طالب المكي : قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلي مقام التوحيد ، تحقيق : عاصم إبراهيم الكيالي ، ج٢ ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

٧. الأزدي : جمهرة اللغة ، تحقيق : رمزي منير البعلبكي ، ج١ ، ج ٣ ، ط١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ،١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .

٨. الثعالبي : فقه اللغة وسر العربية ، تحقيق : عبد الرازق المهدي ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م .

٩. تغريبة بني هلال الكبري ، ج١٢ ، قصة البردويل بن راشد ، مكتبة الأندلس ، بيروت ، لبنان ، ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٠ م .

١٠. البخاري : صحيح البخاري المعروف بـ " الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلّ الله عليه وسلم وسننه وأيامه " ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، ج٢ ، ط١ ، دار طوق نجاة ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م

١١. البغدادي : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ج٣ ، ج٢ ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
١٢. الحموي : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، ج٢ ، المكتبة العلمية ، بيروت ، د. ت .
١٣. الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق احسان عباس ، ط٢ ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
١٤. الحميري : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، تحقيق : حسين عبد الله العمري وآخرون ، ج٤ ، ج ٦ ، ج٨ ، ط١ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م .
١٥. الرازي : مختار الصحاح ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، ط٥ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
١٦. الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق :عبد العزيز مطر ، راجعه : عبد الستار أحمد فراج ، ج٨ ، ج ٢٥ ، ج ٣٢ ، ط٢ ، سلسلة التراث العربي ، عدد ١٦ ، وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .
١٧. الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق : إحسان عباس ، ج٥ ، ط١ ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
١٨. العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
١٩. العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (٧٨٤ – ٨٠١ هـ / ١٣٨٢ – ١٣٩٨م) ، تحقيق : إيمان عمر شكري ، ضمن كتاب السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة ، سلسلة صفحات من تاريخ مصر ، عدد ٥٥ ، ط ا ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ،١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م .
٢٠. الفارابي : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ترجمة : أحمد عبد الغفور عطار ، ج ٢ ، ج٤ ، ط٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
٢١. الفراهيدي : العين ، تحقيق مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي ، ج٧ ، ج٨ ، دار الهلاك ، القاهرة ، د.ت .
٢٢. المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط٣ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

٢٣. النابلسي : الحقيقة والمجاز في الرحلة إلي بلاد الشام ومصر والحجاز ، تقديم وإعداد : أحمد عبد المجيد هريدي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
٢٤. النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ،ج١٢ ، ط١ ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م .
- ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج١ ، ج٢ ، ج ٣ ، ج ٤ ، ج٥ ، ط٢ ، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٥ / ١٩٩٥م .

ثانيًا : المصادر الأجنبية :

1. Albert Of Aachen , History Of The Journey To Jerusalem , (ed. And Trans) . by , Edginton , Susan .B , first published , Oxford university press , NewYork , 2007 .
2. Anonymous Pilgrim (Pseudo DeDo) , (12 th Century) , Trans .by , Stewart ,Aubery , in.P.P.T.S., vol .VI, London ,1894 .
3. Anonymous Pilgrim II (12 th century), Trans .by , Stewart ,Aubery , in.P.P.T.S., vol .VI, London ,1894.
4. Anonymous Pilgrim IV (Not earlier than 12 th century), Trans .by , Stewart ,Aubery , in.P.P.T.S., vol .VI, London ,1894 .
5. Saewulf , Pilgrimage Of Saewulf To Jerusalem And The Holy Land (1102, 1103.A.D) , Trans by , Brownlow, canon , in , P.P.T.S ., vol .IV , London , 1892
6. Saewulf , Pilgrimage Of Saewulf To Jerusalem

7. Theoderich , Description Of The Holy Places (circa 1172 A.D) , Trans . By , Stewart , Aubrey , in.P.P.T.S., vol.V , London , 1891.

ثالثًا : المصادر الأجنبية المعربة :

١. بينامين بن بونة : رحلة بنيامين التطيلي ، ترجمة : عزرا حداد ، دراسة وتقديم : عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، ط١ ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م .
٢. يعقوب القيتري : تاريخ بيت المقدس ، ترجمة وتعليق : سعيد البيشاوي ، ط١ ، دار الشروق ، عمان ،١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .
٣. يوحنا فورزبورغ : وصف الأرض المقدسة ، ترجمة وتعليق : سعيد عبد الله البيشاوي ، ط١ ، دار الشروق ، عمان ، الأردن ،١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

رابعًا : المراجع العربية .

١. إبراهيم مصطفي وآخرون : المعجم الوسيط ، ج١ ، دار الدعوة ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩ م .
٢. أحمد أمين : قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، كلمات عربية للترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣ م .
٣. أحمد رمضان أحمد : شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطي ، الجهاز المركزي للكتب الجامعية ، القاهرة ،١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م .
٤. أحمد عيسى بك : معجم أسماء النبات ، ط١ ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م .
٥. أحمد مختار عبد الحميد عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، ج١ ، ج٣ ، ط١ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م ، ص٢٣١

٦. أحمد معمور العسيري : موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر ١٤١٧ هـ/١٩٩٦ - ١٩٩٧ م ، ط١ ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦ .
٧. جودة حسنين جودة و فتحي محمد أبو عيانة : قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية ، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ،١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م
٨. حاتم عبد الرحمن الطحاوي : الإقتصاد الصليبي في بلاد الشام ، ط١ ، دار عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
٩. حسن عبد الوهاب : تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها ، محاضرة ألقيت بالمجمع العلمي المصري في جلسة ١٤ أبريل ١٩٥٥ م ، Bulletin de l'Institue d'Egypte , vol. 37 , le caire , 1955 .
١٠. سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، " صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطي ، ج١ ، ط٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ، ص ٢٥ : ٢٧ ، ص٣٧ ، ٣٩ .
١١. سعيد عبد الفتاح عاشور : نظم الحكم والادارة في عصر الأيوبيين والمماليك . المرأة في الحضارة العربية ، المؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية ، مطبوع ضمن موسوعة الحضارة العربية الاسلامية ، ط١ ، الموسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
١٢. عاتق بن غيث البلادي : معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، ط١ ، دار مكة للنشر ، مكة المكرمة ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
١٣. عبد الحميد الثاني : مذاكراتي السياسية ، ط٥ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
١٤. عبد العزيز طريح شرف : الجغرافيا المناخية والنباتية ، ط١١ ، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م .
١٥. عبد العزيز محمد الشناوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتري عليها ، ج١ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
١٦. عبده مباشر و إسلام توفيق : سيناء الموقع والتاريخ ، دار المعارف ،القاهرة ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨ م .
١٧. قاسم عبده قاسم : الخلفية الأيدلوجية للحروب الصليبية ، ط١ ، دار عين للدراسات ، القاهرة ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .

١٨. محمد بن محمد حسن شراب : المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ، ط١ ، دار القلم ، دمشق ، ١٤١١هـ / ١٩٩١ م .
١٩. محمد رمزي : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلي سنة ١٩٤٥م ، ج١ ، ق٢ ، البلاد الحالية ، المحافظات ومديريات القليوبية والشرقية والدقهلية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤ م .
٢٠. محمد علي : الرحلة الشامية (١٩١٠) ، تحرير وتقديم : علي أحمد كنعان ، ط١ ، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م
٢١. محمد لبيب البتنوني : الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر ، ط٢ ، مطبعة الجمالية ، مصر ، ١٣٢٩هـ / ١٩١١ م .
٢٢. مصطفي مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج١ ، ق٢ ، دار الهدى ، كفر قرع ، ١٤١١هـ / ١٩٩١ م.
٢٣. يوسف عبد المجيد فايد : جغرافية المناخ والنبات ، دار النهضة العربية القاهرة ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .
٢٤. نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينها من العلائق التجارية والحربية وغيرها عن طريق سيناء من أول عهد التاريخ إلي اليوم ، تقديم : محمد إبراهيم أبو سليم ، ط٦ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

خامسًا : المراجع الأجنبية :

1. " Crossing The Desert Caravan " , in , penny magazine of the society for the diffusion of useful knowledge , vol. 394 , London , may.1838 .
2. Yosef, Reuven, Family Laniidae (Shrikes) , In Josep, del Hoyo; Andrew, Elliott; David, Christie , Handbook of Birds of the world , Volume 13, Penduline-tits to Shrikes. Barcelona, Lynx Edicions , 2008 .

3. C. H. Scholtz & E. Holm , Insects of southern Africa , Butterworths, 1985 .
4. Clancey, P.A. , Encyclopaedia of Animals: Birds, (ed) Forshaw, Joseph, London: Merehurst Press , 1991.
5. George long , on the sacred animal of Egypt , the british museum , egyptain antiqities , vol.2 , London , 1836 .
6. Hideaki Ohba , The taxonomic status ofSedum telephium and its allied species (Crassulaceae) , shokubutsu- gaku zasshi , march 1977, vol.90 , issue . 1 .
7. Hoyo, J. del, et al., Handbook of the Birds of the World, vol. 10. Barcelona: Lynx Edicions , 2005 .
8. Hale , Rachael , Dogs , 101 Adorable Breads , Andrws Mcheel Publishing Leighton , Robert , The Nw Book Of The Dogs , Cassell Company Limited , 1907 .
9. Maurice burton and Robert burton , scarab beetle , vol. 16 , the international wild life encyclopedia , (3rd ed) , marshall , cavedish , 2002 .
10. pat remler , egyptain mythology Atoz , (3rd ed) , infobase publishing , new york ,
11. Philip Henderson , Richard Coeur de lion , New York , 1959 .
12. Sangster, G., Alström, P., Forsmark, E., & Olsson, U. , Multi-locus phylogenetic analysis of Old World chats and flycatchers reveals extensive paraphyly at family, subfamily and genus level (Aves: Muscicapidae). Molecular Phylogenetics and Evolution , 2010 .
13. stanislav Gorb , Attachement Devices Of Insect Cuticle , London , 2001 .

14. Stevens, Anthony , Ariadens clue : Aguide to symbols of humankind , (1st ed) , united state , 2001 .

سادسًا : المراجع الأجنبية المعربة :

١. السيد أدي شير : الألفاظ الفارسية المعربة ، ط٢ ، دار العرب ، القاهرة ،١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .

٢. فالتر هنتس : المكاييل والأوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمه عن الالمانية : كامل العسلي ، مراجعة : عبد العزيز الدوري ، منشورات الجامعة الأردنية ، عمان ،١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠م .

الفهرس